السنة الثانية العدد ٢٢ ١٥ ت ٢ سنة ١٨٩٩

المشرق

البويرس وبلاد الترانسفال

نبذة تاريخية جغرافية للاب لويس شيخو اليسوعي

اطلقت ألسن الصحف منذ اشهر على البويرس وبلادهم الترانسفال فصار اسم اقطارهم شائعاً بعد ان كان مندرجاً في طيّ النسيان. ولئلاَّ يفوت قرَّاءنا شيء من امر هذا الشعب احببنا ان نفرد لذكره مقالة موجزة ليكونوا على بيّنة من احواله فيحضروا بزيد شوق هذا الصراع الجديد الذي انتشب بين الجبَّار البريطاني والقزَم الترانسفالي ولعلَّ القنبل ينتصر من الجبَّار كما فعل سابقاً

١

البويرس (Boers) في لغة الهولنديين الفلَّاحون قيل لهم ذلك لانَّ مهنتهم الاولى كانت الحراثة زاولوها منذ دخولهم تلك البلاد فاحرزوا لهم في هذه الصنعة ثروة طائلة مكَّنتهم من السيادة على قسم من افريقية الجنوبيَّة

امَّا اصلهم فمن المستعمرين الهولنديين الذين احتلُّوا رأس الرجاء الصالح في القرن السابع عشر. وذلك ان هولندة لمَّا تولَّت على بعض بلاد الهند في اواخر القرن السادس عشر واوسعت نطاق تجارتها في الاوقيانس الهندي الى اليابان وجزائر الشرق الاقصى لم تَرَ بدًّا من احتلال بعض سواحل افريقية لترسو عندها ذهابًا وايابًا سُفنها التجاريَّة فتأخذ منها حاجتها من المؤونة للسفر. وكان من غاياتها ان تترصَّد من ثمَّ حركات السُّفن الاجنبيَّة لاسيما مراكب البرتغال التي فازت في ذلك العصر قصبة السباق في سيادة البحر. فأجمعت شورى جمعيَّة الهند الشرقيَّة على ان رأس الرجاء الصالح افضل نقطة يمكن الهولنديين احتلالها لبلوغ مرامهم فبادروا الى ارسال بضع مئين من الجنود ليستولوا على الرأس المذكور. وكان نزولهم في خلف جبل المائدة (Table-Mountain)

في جنوبي مدينة الكاب سنة ١٦٥٢ . واستوطن اكثرهم تلك البلاد وتفرّغوا لاستعمارها وتأهلوا هناك واستعبدوا قوماً من الهوتنتيين وسودان تلك النواحي

وبقي المستعمرون الجدد مدّةً في ذلك المقام لم يأتوا عملاً يُذكر لسوء تصرّف ولانهم وجودهم على المرؤوسين وكان عددهم لا يتجاوز في سنة ١٦٨٠ ستمائة شخص وفي سنة ١٦٨٥ انضمّ الى المستعمرين الهولنديين قوم من الفرنسيين الكالفينيين جلوا عن وطنهم بعد ان أشهر الملك لويس الرابع عشر القرار المعروف بقرار نانت (l'édit de Nantes) . فامتزج الفرنسيّون بالهولنديين امتزاج الخمر بالماء واخذوا لغتهم وكانوا كلهم من المتعصّبين لشيعة كالفين . ومن بناياتهم مدينة الرأس « كاب تون » (Cape-Town) التي صارت منذ ذاك الحين عاصمة مستعمرة الرجاء الصالح

ومع هذا فلم تزل المستعمرة في اسوإ حال لما كان عليه اصحاب امرها من الاستبداد والظلم . وبلغ « ڤان در ستال » احد ولاتهم من سوء الحظّة غايةً كلّفهم بها شيب الغراب فاعتصب البويرس وخرج منهم عدد غفير ميمّمين الصحاري الواقعة في شمالي تلك البلاد فتوطّنوا وسرّحوا فيها مواشيهم ولم يزالوا في امتداد وانتشار الى ان بلغوا ضفّة نهر اورنج سنة ١٧٨٦ وكانوا يسمّونهُ قبلاً نهر السمك الكبير (Groot Vish-rivier)

وكان هؤلاء القوم الجالية يعيشون مستبدّين لا يقوى ولاة مستعمرة الرجاء على اخضاعهم لسلطتهم . وانّما كانوا قسموا البلاد التي احتلّوا الى ايالاتٍ عديدة واقاموا على كلّ منها مناظراً او مديراً (Veld-cornet) عُهدت اليه سياسة الفلّاحين الذين في ايالته يجمعهم عند الحاجة لردّ غزوات القبائل الوطنيّة

ودامت الحال على ذلك الى ان رمت انكلترّة بطرفها الى مستعمرة الكاب لحسن موقعها فتربّصت مدّة وهي تتوقّع الفرصة لقضاء وطرها فلمّا لحت غرّة العدوّ حملت عليهم حملة القويّ على الضعيف فسحقتهم سحقاً واستولت على مستعمرة الكاب سنة ١٧٩٥ . وقتلت من الهولنديين ما تيسّر لها وفرّ الباقون الى اخوانهم في اواسط البلاد فصاروا يداً واحدةً للقيام في وجه العدو

ثمّ انقشبت منذ ذاك الحين بين الانكليز والبويرس حرب عوان كانت الدولة على البويرس في بعض الآنات وعلى الانكليز في غيرها . وقد ابلى الاوّلون في هذه الحروب احسن البلاء فدافعوا عن حرّيتهم دفاع الصناديد الابطال . الّا انّ انكلترة لم تكن

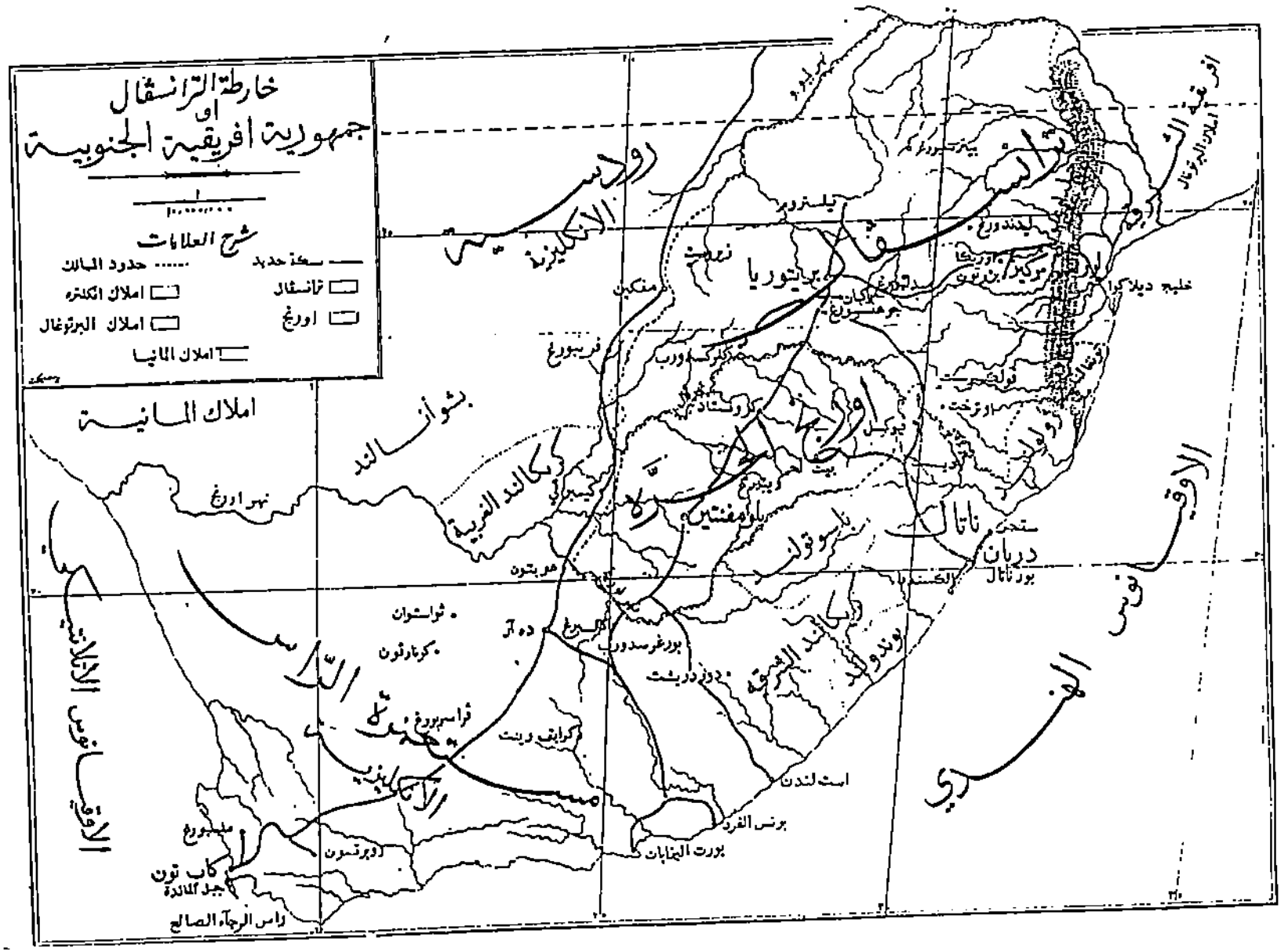
خارطة الترانسفال
او
جمهورية افريقية الجنوبية
شرح العلامات
سكة حديد
حدود المالك
ترانسفال
املاك الكلتره
اورنج
املاك البرتوغال
املاك المانيا
املاك المانية
نهر اورنج
بشوانالند
الكالند الغربية
الكالند الشرقية
ناتال
دربان
بور ناتال
الاقيانوس الهندي
الاقيانوس الاتلانتي
كاب تون
جبل المائدة
راس الرجاء الصالح
خليج ديلاكوا
بريتوريا
اورنج
بلوم فنتين
ترانسفال
روديسيا الانكليزية

لتنكمس الى الوراء. بل كانت تمدّ اصحابها بالأمداد المتواصلة فتفهم البويرس انهُ لم يبقَ لهم غير الجلاء عن الاوطان سنة ١٨٣٧ فتحفّزوا للرحيل وباعوا املاكهم وذخائرهم وهاموا على وجوههم وطووا البيد وتوغّلوا الجبال وطافوا الوديان الى ان بلغ قسم منهم سواحل البحر الشرقيّة فتوطّنوا هنـاك بعد ان حاربوا قبائل الزولو وملكهم دنغان واتّخذوا لهم مستعمرة مستقلة في بلاد ناتال وجعلوها جمهوريّةً حاضرتها مدينة دُربان على شاطئ البحر. اما القسم الآخر من جالية البويرس فانهم قصدوا جهـات الشمال وعبروا نهر اورنج وتوطّنوا الاراضي الواقعة بينهُ وبين نهر ڤال فتلك مبـادئ جمهوريّة اورنج الحرّة (Oranje Vrij-staat)

الّا انّ الانكليز الساكنين في بلاد الكاب اصابهم بخروج البويرس ما اصاب فرعون والمصريين عند فرار اسرائيل من ارض النيل. فرأوا ان مستعمرة الكاب فقدت أفضل سكّانها وانشطهم في حراثة الارض وتوسيع نطاق العمران فجنّدوا جنودهم وتأثروا أعقاب البويرس الفارّين وناجزوهم القتـال حيثما وجدوهم في جمهوريّتَي ناتال واورنج. بيد ان البويرس أبوا الّا ان يعيشوا احرارًا وبعد مناوشات طويلة غلبوا فيهـا مرارًا العسكريّة اضطرّ جالية بلاد ناتال ان يزايلوها ويتوغّلوا في الجهـات الشماليّة ما وراء نهر الڤال (Transvaal) فزاحموا هناك بالمناكب قبائل من الوطنيين الافريقيين يُدعون متابيلي الّا انّهم ما لبثوا ان قطعوا دابرهم واباحوا ذمارهم وسكنوا بلدهم. اما جاليـة بلاد اورنج فلم يرضوا ان يبرحوا مكانهم وواصلوا القتال مدّة طويلة مع الانكليز الى سنة ١٨٤٨ وبها انتصرت الجيوش البريطانيّـة على البويرس الاورنجيين انتصارًا عظيمًا في واقعة بوملّس واستولت على بلادهم بضع سنين. لكنّ البويرس اشتدّ بعد ذلك ساعدهم وأجابوا الانكليز سنة ١٨٥٤ الى ان يدعوهم وشأنهم احرارًا مستقلين رغمًا عن طمعهم في بلادهم. ومذ ذاك الحين اخذت بلاد اورنج ترقى في معارج الفلاح حتى زاد سكّانها ستّة اضعاف عمّا كانوا قبلًا. ولهم دار ندوة يسنّ اعضاؤها السُّنن. وعدد اصحاب الشورى خمسون ينتخبهم الشعب كلّ اربع سنوات. وللجمهوريّة رئيس يسوسها يُجدَّد انتخابهُ بعد اربع سنين. وعاصمة هذه الجمهوريّة مدينة بلومفنتين (Bloemfontein) انفسها نحو عشرين الف. واهـل كلّ الجمهورية يبلغون نحو ١٨٠٠٠٠

ولنرجع الى جالية الترانسفال لنتمّة اخبارهم فانهم لمّا حطّوا في بلادهم الجديدة عمّا الترحال اخذوا يجدّون في تعمير بلدهم وحراثة اراضيه. وكان الثمر البريطاني مع بعد البويرس عنهُ لا يزال يزخر وينظر نظر الطامع الى بلادهم. غير انّ بويرس الترنسفال اشتدّت شوكتهم بعد وقوع بلاد اورنج في يد الانكليز لانّ كثيرين من اهل هذه الجمهورية لم يرضوا بحكم بريطانية والحقوا باخوانهم في الترنسفال وكان رئيس هذه العصابة يُدعى پريتوريوس وكان من اصحاب الشدّة والبأس محنّكًا في الآداب الحربيّة فاختاره اهل الترنسفال عليهم رئيسًا لمقاومة العدوّ سنة ١٨٤٨. فقام پريتوريوس احسن قيام بوظيفته ونظم جمهوريّة الترنسفال وابعد تخومها وسمّاها جمهوريّة افريقية الجنوبيّة (Zuid-Afrika Republick) وجعل لها عاصمةً دُعيت باسمه پريتوريا (Pretoria)

وكانت كلّ خطوة تخطوها الجمهوريّة الجديدة في سبيل التمدّن والنجاح كنهم في قلب بريطانية الّا انّها كظمت غيظها وخافت من قصور يقع بجنودها اذا ابتعدوا عن سواحل البلاد. لكنّها هاج هائجها لمّا اسعد الحظ اهل الترنسفال ووجدوا مناجم الذهب في حدود امصارهم فقامت انكلترة وقعدت وحشدت جنودها سنة ١٨٧٧ لمحاربة الترنسفال وهي تدّعي انّها أتت لنصرة القبائل الافريقيّة لترد عنهم ظلم البويرس. فزحف اهل الترنسفال لملاقاة أخصامهم يؤثرون الموت على الذلّ ولم ينكصوا على الاعقاب حتى كسروا الانكليز كسرةً فاضحة في ثلاث وقعات وفرّقوهم شذر مذر. فلمّا رأى وزراء لندرة منقلب الامور في الترنسفال ارسلوا بلسان البرق تلغرافًا هذا تعريبهُ: « قد اسأنا الصنع الى البويرس فاعقدوا الصلح معهم »

لكنّ هذه الحرب لم تحطّ عن اوزارها قبل سنة ١٨٨١. وفيها عُقد الصلح بين الفريقين وصفت بينهما سماء السياسة واقرّت بريطانية العظمى باستقلال الترنسفال وحقوقه. وهذه المعاهدة قد جُدّدت سنة ١٨٨٤ وكتب المستر تشمبرلن في ذلك رسالة نشرتها جمهوريّة الترنسفال في كتابها الاخضر

غير انّ قلب انكلترة لم يصفُ بعد على جارتها وهي لم تزل عند سنوح الفرصة تكثّر لها عن انيابها وتكشف ما يكنّ صدرها من المطامع. ولمّا كانت سنة ١٨٨٧ اخذ الانكليز يتقاطرون زرافات الى تعدين مناجم الذهب المكتشفة في الترنسفال وزاد عددهم هناك الى ان ابتنوا لهم مدينة دعوها جوهنسبرغ وجعلوها مستقلّة عن حكم

البويرس فلم يرضَ هؤلاء بهذا الاستبداد في ضمن تخومهم وحملوا على اهلها فشتّتوا شملهم سنة ١٨٩٥. واليوم عادت انكلترة الى مطامعها فانتشبت الحرب بينها وبين البويرس والله يعلم ما يعدُّهُ المستقبل لتعدّي الاسد البريطاني:

وقد تسلبُ الايامُ حالات اهلها وتعدو على أُسد الرجال الثعالبُ

٢

تلك لمحة موجزة من تاريخ البويرس واخبارهم. امّا بلادهم التي رسخت فيها قدمهم بعد الجلاء المتوالي عن اوطانهم الاصليّة فهي كما سبق عبرُ نهر الفال او الترانسفال وهي عبارة عن بلاد واسعة الارجاء يبلغ رُحبها ثلاثة اخماس سعة فرنسة فانّ مساحتها لا تقلّ عن ٣١٠,٠٠٠ كيلومتر مربّع والترانسفال واقع في وسط البلاد تحدق به املاك دول مختلفة فتحدُّهُ شرقًا جبال لُبُمبو الفاصل بينهُ وبين الولاية البرتوغاليّة الافريقيّة وزولولند اي بلاد الزولوس. وجنوبًا نهر الفال وراءهُ بلاد اورنج الحرّة ونهر بوفالو وراءهُ بلاد ناتال الانكليزيّة. وتخومهُ الغربيّة ولاية افريقية الجنوبيّة الانكليزيّة وحكومة الرأس. امّا الحدود الشماليّة فتنتهي عند نهر الليمبوبو يفصل بين الترنسفال وروديسية. فللترنسفال كما ترى حدود طبيعيّة تصونهُ من كلّ جهاتهِ الّا انّهُ بسبب موقعهِ هذا لا يمكنهُ ان ينال الأمداد من الخارج اللهمّ الّا من اورنج الحرّة وهي ايضًا تكتنفها الاملاك الانكليزيّة من ثلاث نواحي لا فُرضة لها على البحر

هذا وان بلاد الترانسفال مع سعة تخومها قليلة السكّان فانّ عدد النفوس فيها لا يُربي كثيرًا على الالف الف ويُقال انّ السودان منهم ٧٥٠,٠٠٠ نفس وهم السكّان الاصليّون من قبائل شتى كالزولوس والكفر وعدد البيض ٣٤٨,٠٠٠. ويُقسم البيض الى قسمين القسم الاول البويرس او الافريكندر وهم العنصر الهولندي اصحاب البلاد ولهم النفوذ والسيطرة ويتسمون بالبلديين (Burghers) ولهم من الحقوق ما ليس لغيرهم اخصُّها حقّ الانتخاب وعددهم نحو ٢٦٠,٠٠٠. والقسم الثاني ويتلندر (Uitlanders) وهم الاوربيّون الذين احتلّوا بلاد الترنسفال من غير الهولنديين منهم نحو خمسين الف انكليزي يطالبون البويرس بحقوق المدنيّة ويريدون مشاركتهم في سياسة البلد وبسببهم ترى اليوم انكلترة قفرت فاهما تريد ان تضطرّ البويرس على موافقتهم في مطاليهم

وموقع بلاد الترنسفال كموقع اورنج الحرّة فانهُ في مشارف افريقية الجنوبيّة ذلك ما يجعل هواءها طيّباً نقيّاً. وفيها ثلاثة جبال متسلسلة تخترقها مباشرةً من الجهة الشرقيّة وتنتهي الى الغرب. واهل الترنسفال يقسمون بلدهم ثلاثة اقسام فالقسم الاول هو نجدٌ موقعهُ فوق هضاب مرتفعة جنوبي البلد يبلغ علوّهُ من ١٣٥٠ متراً الى ٢٣٥٠ وارض تلك الانحاء صلعاء لا ينبت فيها شيء من النبات. والقسم الثاني هو بلاد الغابات موقعهُ في جهات الشمال والشمال الغربي. وهناك انهار وجداول كثيرة وأحراج من الاشجار الباسقة الوارفة الظلّ. اما القسم الثالث فيشمل بطاح البلاد وسهولها وفيهِ المراعي الخصبة والمواشي العديدة لولا انَّ قسماً كبيراً من تلك الاصقاع قد سلّط الله عليها عدوّاً صغيراً من الهوامّ يقهر كل الدوابّ ويدسُّ في عروقها سمّاً لا يبقي ولا يذر ألا وهي ذبابة صغيرة تُدعى تسيسي (tsétsé) تفتك بالخيل والبقر وكبار الدوابّ فتكاً ذريعاً وتذيقها الموت عاجلاً. وهذه الذبابة توذي الانسان وتؤلمهُ بُجمتها لكنَّها لا تقوى على قتلهِ كما تفعل بالدوابّ والمواشي. واهل الترنسفال يتّقون شرّها بلبس الثياب الغليظة التي لا تنفذها ابرة الذباب. والذبابة هذه تتأثر اعقاب الوحوش الضارية ولاهل الترنسفال املٌ في إعدامها بصيد سباع الحيوان

وللترنسفال عشرون ايالة او مقاطعة يُدعى اكثرها باسماء حواضرها. وعلى كلّ مقاطعة مدير يسمّونهُ محافظاً (Land-drost) يحكم على اهل ايالتهِ حكماً مقيّداً وعلى السودان حكماً مطلقاً

وليست مدن الترانسفال كثيرة السكّان واغلبها اشبه بالقرى منها بالمدن. وعاصمتهم مدينة پريتوريا التي لا تكاد نفوسها توفي على ١٥,٠٠٠ نفس الّا انها حسنة البناء فيها المعاهد الكبرى والعمارات الواسعة والقصور الرحبة شيّدها البويرس سنة ١٨٥٥ ودعوها باسم پريتوريوس كما روينا. ومن مدن الترنسفال التي شاع ذكرها في هذه السنين الاخيرة مدينة جوهنسبرغ على بعد مئة كيلومتر من پريتوريا جنوباً بناها المدّنون لمّا اكتشفوا بقربها مناجم الذهب سنة ١٨٨٤ وهي اليوم من اُمّهات تلك البلاد. ومن مدنهم البهجة التي يتوارد اليها الاجانب لطيب هوائها مدينة زيروست (Zeerust) التي موقعها على نهر يصبُّ في لِنپوپو وقد قيل لتلك الاصقاع حديقة الترنسفال لخصبها وعذوبة مياهها وكثرة أرفاقها. وهناك ايضاً مدينتان حديثتان تدعيان بَربرتون وأوريكا

زاد بوقت قليل عدد سكانها فاضحتا من المراكز المهمة وتتصل بهما السكة الحديدية التي بدؤها عند فرضة لورنسو مركيز

٣

سبق لنا القول ان البويرس قومٌ من الفلاحين ارتزق اجدادهم بحراثة الاراضي في مستعمرة الكاب ثم داوموا على فلاحة البلاد التي سكنوها بعد جلائهم وما كلفهم بلاد الترنسڤال الا ما يجدون فيها من اسباب المعاش المناسبة لمهنتهم. فلكلّ عائلة املاك واسعة تتولّى حراثتها وتزرع فيها من الحبوب والبقول والتبغ الحسن والاشجار المثمرة ما تأخذ منها كفايتها وتتاجر بما يزيد عنها

والشابُّ عندهم اذا بلغ السنّ الشرعي يركب جواداً ثمّ يركض فرسهُ في الاملاك الاميريّة مدّة معلومة فيستملك الارض التي امكنهُ ان يدور حولها في مسيرهِ وهي عبارة عن عدّة فدادين ثمّ يحتلّ ملكهُ الجديد ويحضنهُ بسياج خوفاً من سباع الوحوش ويبتني لهُ سكناً. ويصطنع حوضاً يجمع فيهِ مياه الشتاء ثمّ يكبّ على حراثة الارض بمساعدة عددٍ وافر من العبيد فلا يلبث بعد قليل ان يستغلّ من ارضهِ اصناف الغلّات

وكلَفُ البويرس بالفلاحة يؤدي بهم الى القناعة ويبغّض عندهم التمدّن الاوربيّ. فتراهم لا يعتبرون سوى ما يصلح لتحسين ترتهم وعمران املاكهم وهم يأبون التأنق في البنايات والانصباب على درس الفنون الجميلة كالتصوير والموسيقى. ويستنكفون من فنّ الصحافة ويكرهون الجرائد وكتبها ولا يهتمّون بتربية اولادهم وتثقيفهم بالعلوم فيجتزئون بالآداب الاهليّة والتربية البيتيّة ولذلك لا ترى بينهم من اشتهر بالكتابة او خدم العلوم خدمةً تُذكر. وفي طباع البويرس فظاظة وخشونة حملتهم مراراً الى اعمال فظيعة يأباها التمدّن والدين. فانهم اساؤوا الصنع الى قبائل السودان غير مرّة واستباحوا ذمارهم ودوّخوا بلادهم بثقل وطئتهم واستعبدوهم لاشغالهم الخاصّة

ومما يزيد في غلظة طباع البويرس تشيُّعهم لآراء كلوين فانّ الكلوينيّين قد اشتهروا في كلّ آن بشراسة طباعهم ونفورهم من الذين لا يدينون بدينهم. والبويرس من اشدّ الكلوينيين تعصُّباً وهم لا يزالون محافظين على عادات اجدادهم ولبسهم ونطقهم يجتمعون اربع مرّات في السنة في معابد لهم ليتحمسوا في الدين ويشتركوا في « العشاء السرّي ». اما باقي السنة فهم يقتصرون على مطالعة الاسفار الكريمة ليس الّا

امّا تجارة البويرس فانها ضيقة النطاق. وغاية ما كانوا يصنعون من هذا القبيل ان يجملوا ما فضل عنهم من المنّات الى مدنهم الكبرى او عواصم البلاد المجاورة فيبدلونها بما لا غنى لهم عنهُ من اسباب المعاش قوضاً بقوض

وفي سنة ١٨٦٥ باشروا بتجارة ريش النعام فكانوا يجمعون من هذا الطائر عدداً كبيراً في حظائر رحبة المجال ولا يصرفون عليها الّا النزر القليل فاذا كبر نزعوا عنها ريشها وارسلوها الى اوربّة فكانوا يربحون من كلّ نعامة في السنة ٣٥٠ فرنكاً. وفي سنة ١٨٨٠ كان عدد النعام الذين يُعنون بتربيتهم يبلغ ٣٠٠٠٠ حتى كسدت هذه التجارة وصار ربح البويرس من النعامة لا يتجاوز ١٥٠ فرنكاً

هذا وما استلفت منذ عشرين سنة انظار الدول الاوربيّة الى البويرس اكتشاف مناجم الماس في كمبرلي من اعمال اورنج الحرّة ثمّ وجود معادن الذهب في انحاء مختلفة من الترنسڤال لاسيما في جوهنسبرغ. وكان اكتشاف هذه المعادن سنة ١٨٨٤ وقف عليها اوّلاً اخوان المانيّان يدعيان ستروبن (Struben) فبنيا لها اكواخاً واخذا باستخراج الذهب وما سمع طلّاب المال بهذا الخبر حتى تواردوا أفواجاً الى المكان واضحت جوهنسبرغ بعد خمس عشرة سنة مدينة ذات مئة الف نفس اكثرهم من الانكليز. وفي الترنسڤال مناجم اخرى غنيّة بذهبها لاسيما في غربي بريتوريا في جبل كاپ (Kaap) حيث تشيّدت مدينتان جديدتان بريرتون واوريكا يتزاحم فيهما المعدّنون. وقد ذكرنا في عدد سابق (المشرق ٢ : ٩٥٨) ما استُخرج في الترنسڤال من الذهب في السنتين الاخيرتين فليراجع. امّا البويرس فلا يرون هذه المناجم بعين الرضى لانها تُطمع فيهم الدول الاجنبيّة وخصوصاً بريطانية العظمى ولذلك لا تراهم يسعون في توثير الطرق وتوفير اسباب الهناء بل ربّما اجتهدوا في صرف السودان عن تعدين المناجم ومساعدة الاجانب في استخلاص الذهب يؤثرون على جمع الاصفر الرنّان العيشة الراضية الهنيئة تُصرَف بالشغل والقناعة. والحقّ يقال انّ البويرس اصابوا من سعادة الحياة الحاضرة ما يغنيهم عن طلب الثروة التي في طيّها الذلّ والجشع

وهي القناعة التي تسوق البويرس على سذاجة العيشة والاكتفاء بعدد قليل من الجنود لحماية الثغور لكنهم اذا اضطرّتهم الحاجة تألّبوا وحاربوا عن استقلالهم محاربة الابطال وردّوا غارات اعدائهم. وهاك اليوم قد قامت الحرب على ساق ولعلّ ظنّ

بريطانيــة في ضعف البويرس وفشولهم سيخيب فتوح آمالهم ادراج الرياح وعلى كلّ حال انّ البويرس سواء كانوا منتصرين او مكسورين سوف يحرزون لهم فخرًا مؤبدًا لقيامهم بالدفــاع عن شرفهم وحريّتهم بازاء دولة كانكاترة لا تغيب الشمس قطّ عن املاكها المتسعة . والله يعطي الملك من يشاء

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقــة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس ترقال اليسوعي (تابع لما سبق)

مقدّمة اولى — ان البعد بين كلّ ربعين يكون باعتبار طول الوتر وقصره فكلّما كان الوتر اطول كان البعد بين الربعين اكثر وكلّما كان الوتر اقصر كان البعد بين الربعين اقلّ(١). ألا ترى انهُ في الاول كان الجواب عند النصف من الوتر والثاني كان عند نصف

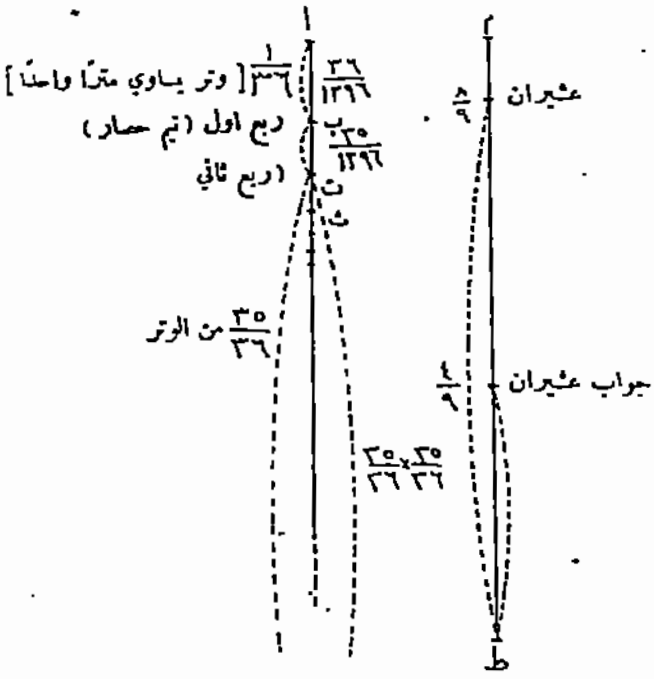

١) لا جرم انّهُ يريد المقابلة بين وترين يُستخرج منهما ارباعٌ متوازية فاذا اختلفا طولاً وقرعنا في كليهما على ربع تم الحصار لا غرو ان يكون البعد بين الطرف وعلّ ضغط الحصار اطول في الوتر الاطول واقصر في الاقصر . فما يزيدهُ على الاتصاف هو تأكيدٌ لما قبلهُ بيد انهُ صعب المأخذ دون ان يُرسم لهُ رسم فهاك ما يُنبئك عن تخطيطهِ . اذا حبستَ على ٨/٩ الوتر م ط حصلتَ على الشيران فالشيران هو قرار النغمة التي تخرج من الوتر اذا حبست على منتصف ما بين ٨/٩ و ط اي ٤/٩

نصفه فاذًا اي محل من الوتر حبستَ عليهِ وقرعتهُ تكون نغمتهُ قرارًا للنغمة التي تحصل من الجسّ على المنتصف الكائن بين المحلّ الذي حبست عليهِ اوّلًا بين منتهى الوتر وهذه المسافة دائمًا تتضمّن الاربعة وعشرين ربعًا طويلة كانت ام قصيرة

﴿ مقدّمة ثانية ﴾ اذا كان ثبت ممّا تقرّر ان نصف الوتر الاول يحتوي على الاربعة وعشرين ربعًا وان النصف ممّا يقي وهو ربع جميع الوتر يحتوي ايضًا على الاربعة وعشرين ربعًا جواب الاوّل فوجب من هذا ان يكون مقياس الربع من القسم الثاني بقدر نصف مقياس الربع من القسم الاول وهذا النقصان حاصل من دخول القصر على طول الوتر . النتيجة ممّا تقدّم انّ قصر الوتر موجب لقصر مقياس الربع ومن المعلوم ان الربع الاول يكون مقياسهُ باعتبار ان الوتر كائن على غاية طولهِ . واما الارباع التي بعدهُ فكل منها قد نقص طول الوتر بالنسبة اليهِ بمقدار طول المقياس ممّا تقدّمهُ من الارباع ولذلك وجب ان كل ربع ينقص مقدار قياسهِ عن الربع الذي تقدّمهُ بنسبة نقصان طول الوتر الذي هو مقدار قياس الربع المتقدّم عليهِ حتى ينتهي الامر الى الاربعة وعشرين ربعًا التي هي نهاية الديوان الاوّل الكائن عند منتصف طول الوتر(١ وحينئذٍ

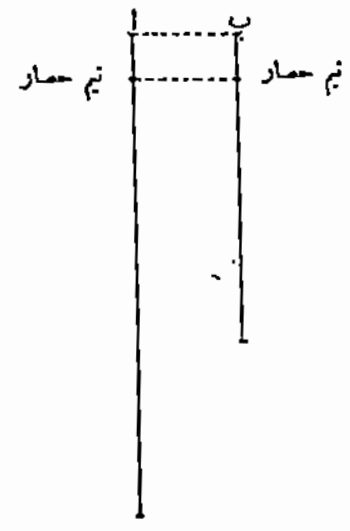

١) وانما في ذلك برهان حسابي فلنفترض انك لتناول الربع الاول تحبس الوتر على ٢٦/٢٥ من طولهِ اي تبث ٢٦/١ منهُ (اي ٢٦/١ المتر اذا كان الوتر يساوي متراً واحداً) فترى جلياً انك لاستخراج الربع الثاني لا تحبس ٢٦/٢٥ الوتر بل ٢٦/٢٥ × ٢٦/٢٥ الوتر لان بعد الضغط الاول ما كان بقي من الوتر الّا جزء منهُ يساوي ٢٦/٢٥ الكلّ امّا الحاصل من ضرب كسرين اقلّ من المضروبين . وعليهِ ما تحبسهُ من الوتر للحصول على النغمة الثانية وهو ١٣٩٦/١٢٢٥ الوتر اقلّ مطلقاً ممّا حبستهُ للنغمة الاولى لان ٢٦/٢٥ يملو ١٣٩٦/١٢٢٥ بمقدار ١٣٩٦/٢٥ وهاك رسماً لذلك يظهر لك منهُ ان المسافة من ا الى ب اطول ممّا بين ب و ت وهي اكبر ممّا بين ت و ث وهلمّ جرًّا كلما استخرجت ربعاً جديداً

الشكل الاول
يكاه

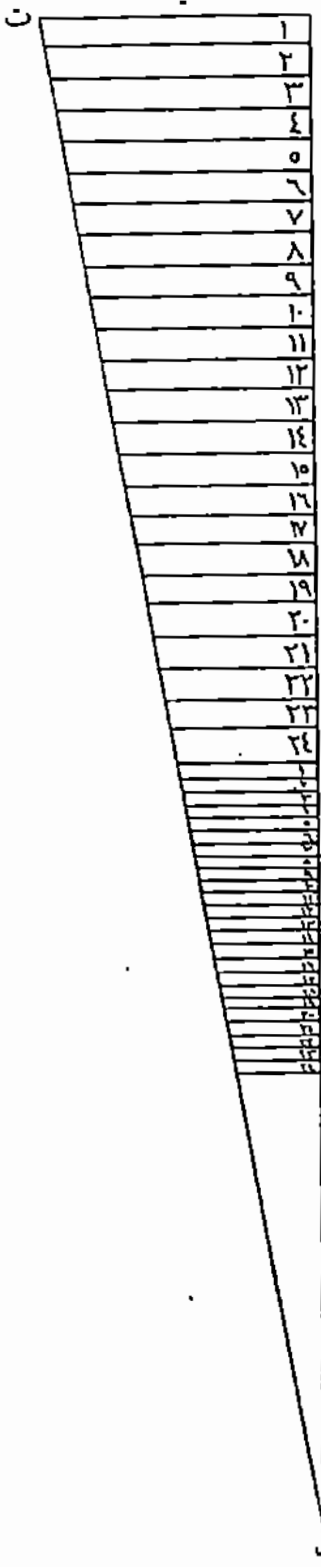

ترى ان الربع الخامس والعشرين صار مقياسهُ نصف مقياس الاوّل (١ وهكذا يصير السادس والعشرون نصف مقياس الثاني وهلمَّ جرًّا كما يظهر لك ذلك من الشكل الاوّل المرسوم في هذه الرسالة وهو ان ترسم مثلثًا قائم الزاوية طول احدى قائمتيه (٢ « ا ب » على قدر ما شئت وطول الثانية « ا ت » تفرضهُ طول الربع الاول من الطنبور (٣ وتسحب خطًّا على وتر الزاوية من رأس القائمة الاولى وهو « ب » الى رأس الثانية وهو « ت » ثم تنصف القائمة الاولى من « ب » الى « ا » فيكون نصفها « ج » فتقسم من « ج » الى « ا » اربعة وعشرين قسمًا متساويًا وتسحب على هذه الاقسام خطوطًا موازية للقائمة الثانية وهي « ا ت » حتى تتلاقى الخطوط مع الخطّ المسحوب على وتر الزاوية من « ت » الى « ب » فهذه الخطوط هي موقع طول كلٍّ من الارباع الاربعة والعشرين باعتبار ان القائمة الثانية التي هي « ا ت » هي طول الربع الاول ثم ان شئت ان تعلم طول ارباع الديوان الثاني فتنصف الباقي من القائمة الاولى من « ج » الى « ب » فيكون النصف « د » فتقسم ما بين « ج » و « د » اربعة وعشرين قسمًا متساوية وتسحب عليها خطوط متوازية كما عملتَ اوّلًا فعند تلاقي كلٍّ منها بالخطّ المسحوب على وتر الزاوية

١) والحق يقال ان الربع الخامس والعشرين في الشكل هو الخط المكتوب عليهِ ٢٤ لاننّا تركنا الخط الاول بدون رقم للبكاء وليس احد يجهل ان الديوان الكامل يحتوي على ٢٥ نغمة و ٢٤ رسمًا او بعدًا ١ على تقسيم مشافة) ٢) يريد احد ضلعي الزاوية القائمة ٣) والاصحّ انهُ يكون طول مطلق الوتر وطول الربع الاوّل هو الخطّ المرقوم ١

يكون طول مقياسه وكلما نصفت الباقي من القائمة يخرج جوب الجواب الى ما لا نهاية له فبهذا الشكل اتضح ان الارباع يتناقص مقياسها على نسبة هندسية لا كما ذكر الشيخ من «ا ت» ارباع الديوان الاول من اليكاه الى النوى يكون طول قياسها متساويا وانه من النوى الى جوابه تكون الارباع مثل نصف الاولى لان هذا يستلزم ان يكون البعد بين برجي الجهاركاه والنوى ضعف ما بين النوى والحسيني وهذا لا يكون بين برجين متماثلين متجاوزين بل ان هذا التناقص يقتضي بُعد ديوانٍ كامل لما تبيّن من ان الربع بالجواب هو مثل نصف قراره فظهر من ذلك وقوع الخلل على ما ذهب اليه شيخنا المشار اليه(١ ولذلك استحسنت

اصلاحنا لشكل مشاقة الاول

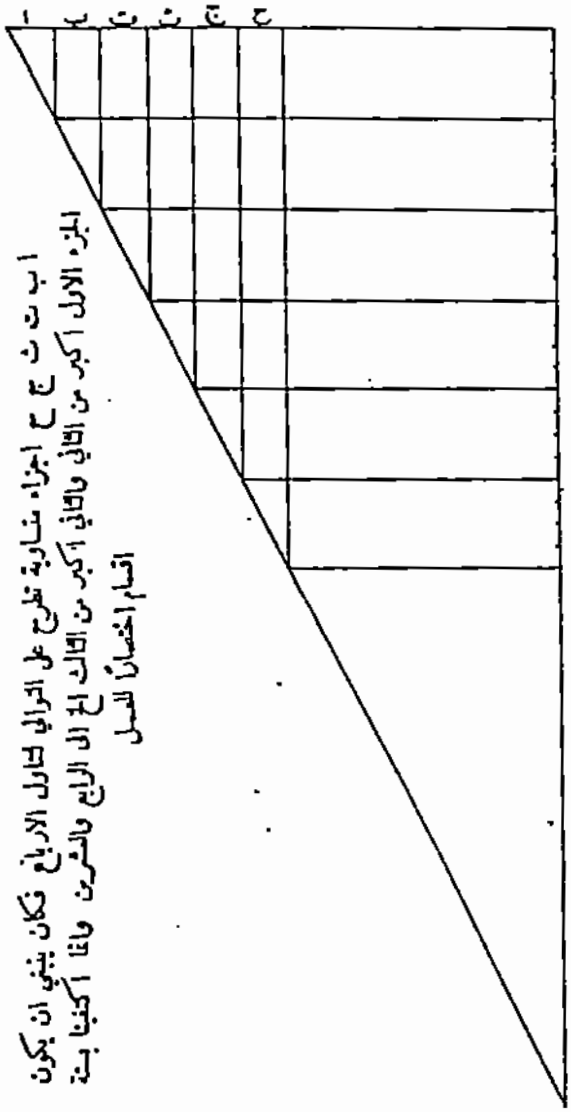

١) ما تقدّم من ذكره للشيخ هو دحض مزاعم هذا الموسيقي. فيريد صاحب الرسالة انّ الوتر اذا انقسم الى اقسام متساوية لتوالي الارباع ينبغي ان يكون طول الوتر من النوى الى الحسيني نصف ما بين الجهاركاه والنوى لان على رأي الشيخ ارباع الديوان الثاني متساوية ايضاً وقدرها نصف طول ارباع الديوان الاول وهذا غلط كما يظهر من شكل مشاقة ومقدمته. الّا ان براهينهُ وعباراته في غاية الاشتباك والابهام لا يكاد يطلعها مطلع الّا خبط فيها اول وهلة خبط عشواء وهذا عيبٌ يأخذهُ به كل من حاول ادراك معانيه فسبحان مضيّ العقول. وعلاوة من ذلك نقول ان شكلهُ الاول ولو اظهر ما في زعم الشيخ من الخلل فلا

ان اختم رسالتي هذه ببحثٍ لطيف في هذا المعنى يتضمَّن بيان الطرق الموصلة الى معرفة حقيقة موقع نغمة كلّ ربع وكلّ برجٍ في ذلك الوتر المشدود على الطنبور مُوضحاً ذلك بالبراهين الهندسيَّة والحسابيَّة وذلك ممَّا يحتاج الى فكرٍ ثاقب وتأملٍ دقيق

فاقول انهُ قد تقدَّم الشرح الكافي انهُ عند منتصف الوتر يكون جواب مطلقهِ وهذا امرٌ معلوم بالعقل لا ريب فيهِ. ثم ان النصف الثاني يكون عند نصفهِ جواب الجواب وهكذا كلما نصَّفت الباقي يكون جواب ما نصَّفتهُ واذا تقرَّر هذا فنقول: ان النصف الاوَّل هو الديوان الاوَّل المحتوي على اربعة وعشرين ربعاً من اليكَّاه الى النوى ونصف النصف الثاني هو الديوان الثاني وهو يحتوي ايضاً على اربعة وعشرين ربعاً من النوى الى جوابهِ الذي يقال لهُ رمل توتى فاذا قسمنا كلًّا من القسمين المذكورين الى اربعة وعشرين قسماً كان بالضرورة مقياس كل ربعٍ اي قسمٍ من اقسام القسم الاول ضعف كل قسم من اقسام القسم الثاني لان نسبة الاجزاء الى الاجزاء كنسبة الاضعاف الى الاضعاف وعلى هذا يكون قياس الربع الاول من الديوان الاول مثل ضعف القسم الاوَّل من الديوان الثاني. وهكذا كل قسم من ارباع الجواب يكون مثل نصف قسم الربع الذي يقابلهُ من ارباع القرار. واذا قد ثبت بالبرهان ان طول الربع متعلق بطول الوتر وجب ان يكون الربع الاول أطول الارباع والذي يليهِ اقصر منهُ. وهكذا كل ربع يقصر عمَّا قبلهُ على نسبةٍ هندسيَّة الى الجواب الذي هو نصف الوتر فيكون

بخلو هو نفسهُ من الخطإ البيّن وهو انك ترى فيهِ طول الوتر ينقص من ربعٍ الى ربع على نسبةٍ متوالية عددية (en progression arithmétique) بينما كان الواجب ان يتناقص نسبةً هندسية (en progression géométrique) وهذا من المقرَّر قد بيَّنا منهُ جانباً في رسمنا الاخير حيث اظهرنا ان استخراج الارباع او بهما كان من النغمات المتساوية المتوالية لا يتمّ بحذف اجزاء من الوتر متساوية بل مختلفة عن بعضها يكون كل جزء منها اقصر من الذي حذفتهُ قبلًا فاوردنا مثلًا عن نسبة كسورية ٢٦/٣٥ تكون عبارةً عن الربع الاول فرأيت ان القسم المحذوف كان ٢٦/١ او ٢٦/١٣٩٦ للربع الاول ثم لاحظت ان الجزء المحذوف للربع الثاني لم يكن مساوياً للاول بل اقل منهُ ولو كنَّا أتممنا بيان الامر لأدركتَ ان الثالث هو اقل من الثاني وهلمَّ جرًّا لان تلك النتائج نتائج ضرب الاعداد لا جمع او طرح. وهذا ما اعتمد صحَّتهُ صاحب الرسالة نقضاً للشيخ الّا ان رسمهُ خالف قولهُ من جهةٍ نعتبرها في شكلنا ان الاجزاء المُبتدة متساوية بينها الى ان ينتهي العمل الى نصف مطلق الوتر وهذه نسبة متَّصلة حسابيَّة لا هندسيَّة كما كان الصواب وسنرجع الى تقسيم الوتر الى اربعة وعشرين ربعاً

قياس الربع الواقع عنـد النصف مثل نصف قياس الربع الاول وهكذا يؤخذ في التناقص بالديوان الثاني والثالث فيتكوَّن من ذلك مثلَّث قائم الزاوية وهو مرسوم في الشكل الاول المتقدّم شرحهُ آنفاً . فعلى هذا لو كان طول الربع الاول من الديوان [الثاني نصف قيراط] الاول قيراطاً واحداً لكان طول الربع الاول من الديوان الثاني نصف قيراط . واما وجه استخراج معرفة طول كل ربع بالطريقة الحسابيَّـة فهو ان تضرب الاربعة وعشرين ربعاً في مثلها وتضرب الحاصل في اربعة وعشرين وهلمَّ جرًّا الى ان يبلغ الضرب في الاربعـة وعشرين ربعاً وعشرين مرَّةً مهما بلغ العدد فهو مخرج الكسر لهذه المسألة وحينئذٍ تقسم هذا المخرج على اربعة وعشرين فخارج القسمة هو سهام الربع الاوَّل فتطرحهُ من المخرج فما بقي تقسمهُ على اربعة وعشرين وخارج القسمة ايضاً تطرحهُ ممَّا بقي من المخرج بعد طرح سهام الاول لان سهام الربع الثاني وما بقي ايضاً تقسمهُ على اربعـة وعشرين وخارج القسمة ايضاً هو سهام الربع الثالث وتفعل كما فعلت بالاول والثاني حتى تستخرج سهام الاربعة وعشرين ربعاً ثم تجمع هذه السهام وتطرحهـا من اصل المخرج وما بقي من المخرج تردهُ على السهام بعمل النسبة لتكون كميَّة مجموع السهام كمقدار المخرج . ومهما بلغت سهام كل ربع فنسبتها الى المخرج كنسبة مقياس طول ذاك الربع الى طول نصف الوتر المشدود على الآلة ولمَّا كان يندر وجود العارفين بضوابط فنّ الحساب من ارباب صناعة الموسيقى كان استخراج ذلك بوجه حسابي يقرب من المستحيل لاسيما ان هذه المسألة تبلغ اعدادها الوفَ الوفِ كثيرة فيعسر على الغير الحاذقين في فنّ الحساب ادراك نسبة اعدادها . هـذا عدا التعسُّرات التي تحصل من عدم آلةٍ مدققـة تُعين على ضبط قياس كسوراتها فلذلك اخترت ان اورد لاستخراجها طريقة هندسيَّة بان يُرسم شكل هندسيّ تؤخذ منهُ النتيجة المقصودة بواسطة المقياس من غير تكلُّف لمعرفة نسبة الاعداد (١

(١) ولنا اقوال كثيرة في هذه الطريقة الحسابيَّة الزهرة اوَّلاً ان هذه المسألة كما اثبتها المؤلف تبلغ اعدادًا تدهش العقول فانها تبتدئ بقوَّة ٢٤ الرابعة والعشرين اي (٢٤)٢٤ ومخرج مثل هـذا العمل الحسابي هو عددًا يشمل ٢٤ رقماً اولها .....١٢٣٣٧٣٦ وقد حصلنا على معرفتهِ بحساب لوغارثميّ (logarithme) فمن تُرى بطاقتهِ ان يكمّل اعمالاً طويلة يكون أقلُّها عددًا يبلغ ما وراء الرُّتَب والطبقات

ثانياً وان سلَّمنا ان صاحب الرسالة استخدم هذه الواسطة لعظم جلدهِ وثبـات صبره

فاقول ان طول فسحة الطنبور من مبتدأ مطلق الوتر عند رأس الآلة الى منتهى الوتر المطلق اعني الى حدّ الجلش يُقسَم الى قسمين متساويين. فالقسم الاول منها هو من جهة رأس الآلة يحتوي على الديوان الاول من اليكّاه الى النوى. والقسم الثاني اذا نصّفت ما بينهُ وبين الجلش فعند المنتصف يكون جواب النوى وهذا النصف الذي هو من النوى الى جوابهِ يحتوي ايضاً على الديوان الثاني من النوى الى جوابهِ الذي يقال لهُ ايضاً رمل توتى وذلك جواب الديوان الاوّل كما تقرّر من تفصيل ذلك آنفاً. واذا عُلم ذلك فنقول: بما ان الديوان يحتوي على اربعة وعشرين ربعاً ومقياس الربع الاول من الديوان الثاني يكون مثل نصف مقياس الربع الاول من الديوان الاول فوجب من هذا بمقتضى البرهان الهندسي انهُ اذا كان طول نصف فسحة الطنبور اربعة وعشرين قيراطاً يكون الربع الاول من الديوان الاول قيراطاً وثلث القيراط (*) والربع الاول من الديوان الثاني ثلثي القيراط ليكون الاول ضعف الثاني ويكون تناقص الارباع عن بعضها على نسبة هندسيّة كما يتضح ذلك من الشكل الثاني فان نصف طول فسحة الطنبور « اب

الشكل الثاني

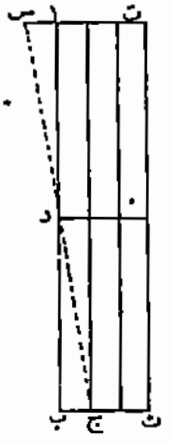

الشكل الثالث

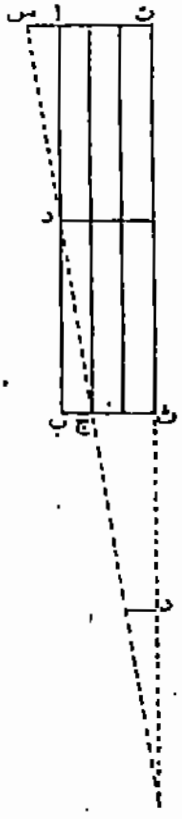

(*) وحصل على نتيجة صحيحة فلا يمكن امتحان صحّة طريقتهِ لابهام والتباس وقع في كلامهِ حتى ان القارئ لا يقدر على معرفة ما يجب طرحه او قسمه. وربّما كان هذا من تصحيف الناسخ

ثالثاً اذا سألنا احدٌ عن الطريقة الاعتيادية الموصلة الى تقسيم وتر ابعادًا متساوية نجيبهُ ان هذا موضوع فصل من فصول كتب الطبيعيّات حيث يُشرح على اي خط قسموا الديوان الى اثني عشر نصف برج متساوية (12 demi-tons égaux) حتى وصلوا الى ما سمّوه الديوان المتدل (la gamme tempérée) وهذه الطريقة بان

تقسم ١ على $\sqrt[12]{2}$ اي $\frac{1}{\sqrt[12]{2}}$ ثم $\left(\frac{1}{\sqrt[12]{2}}\right)^2$

او $\frac{1}{\sqrt[12]{2^2}}$ ثم $\left(\frac{1}{\sqrt[12]{2}}\right)^3$ او $\frac{1}{\sqrt[12]{2^3}}$

ت ث » ومن « ت » الى « ا » قيراط واحد ومن « ث » الى « ب » قيراط واحد ايضاً. فاذا سحبنا خطاً مستقيماً من « ج » الواقع على ثلثي القيراط مارًا على لفظة « د » التي هي نصف طول الشكل كانت نهايتهُ عند « س » بعيداً عن « ا » بثلث قيراط فيكون من « ث » الى « ج » نصف المسافة من « ت » الى « س » والذي نقص من « ب ج د » زاد في « ا س د » فحصل من هذا الشكل مثلث قائم الزاوية مقطوع على نصف قائمة التي هي منهُ « ت » الى « ث » اذ لو وصلت الخط « ت ث » بخط مثله الى « ص » بحيث تصير « ث » في منتصف الخط بين « ت ص » ثم وصلت الخط « س د ج » بخط مثله على استقامة التلاقي في « ص » كما يظهر لك من الشكل الثالث فيكون مثلث قائم الزاوية احدى قائمتيهِ « ت ا س » والاخرى « ت ث ص » ووترها « س د ج ص » فهذا المثلث نصفهُ الاول من « ت » الى « ث » وهو الديوان الاول ونصفهُ الآخر من « ث » الى « ص » فاذاً نصفهُ عند « ط » يكون من « ث » الى « ط » الديوان الثاني وهكذا كلما نصّفت الباقي يكون جواب الجواب الى ما لا نهاية لهُ. ومن ذلك عُلم انهُ اذا اردت قسمة فسحة الطنبور على اي نوع كان من الاقسام تكون قسمتها بمقتضى هذا الشكل بان يكون القسم الاول زائداً مقدار ثلث اصلهِ والقسم الاخير ناقصاً مقدار ثلث اصلهِ فاذا كانت القسمة الى ابراج كبرى كبرج العشيران وامثالهِ فضمّنهُ اربعة ارباع هي سدس نصف فسحة الطنبور عبارة عن اربعة ارباع قراريط منها فيلزم ان يكون الاول خمسة قراريط وثلث القيراط والاخير قيراطين وثلثي

وعلم جزءاً وتنال منهُ طول الوتر لاستخراج الانصاف المتساوية واجرينا هذا العمل لتقسيم الى ٢٤ ربعاً مبدلين ١٢ الى ٢٤ فكانت النتيجة بواسطة اللوغاريتمة :

$\left(\frac{1}{\sqrt[24]{2}}\right)^{1}$ = ٠,٩٧١٥٣٢٠٠٠٠٠ للربع الاول (فاخذنا ١ افتراضاً ان طول الوتر هو متر ١)

$\left(\frac{1}{\sqrt[24]{2}}\right)^{2}$ = ٠,٩٤٣٨٧٠٠٠٠٠ للربع الثاني الخ. فمن الواجب ان ينتهي العمل الى ٠,٥٠ وهو طول الجواب

*) والقيراط هنا بمعنى قسم من اقسام طول متجزئ الى الاربعة وعشرين وسماً لا يخفى ان ليس لهُ طول معيّن. اما قولهُ ان الربع الاول من الديوان الاول يكون قدرهُ قيراطاً وثلث فهو من الراجح قد امتحناً صحتهُ بمقدار ما بانتا من الكسورات في العددين السابقين

التيراط واذا كانت القسمة الى ابراج صغرى كبرج العراق وامثاله فضلتهُ ثلاثة ارباع عبارة عن ثلاثة قراريط من نصف فسحة الطنبور فيلزم ان يكون اربعة قراريط والاخير قيراطين

وفي الاجمال نقول انَّ البرج الكبير يكون جزءًا من تسعة اجزاء من كلّ طول فسحة الطنبور والصغير جزءًا من ستَّة اجزاء كلّ الفسحة . وبما اننا قد انتهينا من شرح المبادئ الموصلة الى الغرض المقصود ساغ لنا ان نشرح كيفيَّة رسم الشكل المقتضى رسمهُ لاجل ما يؤخذ منهُ قياس رباط ذاك الطنبور المراد ربطهُ (التتمَّة للعدد القادم)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٤ مجاري المياه في لبنان

لا يتمُّ رصفنا السابق لينابيع أفقة ولبحيرة اليمونة إلَّم نُحطْ قرَّاءنا علمًا بحالة لبنان من حيث مسايل المياه في جهاتهِ المختلفة وذلك فنٌّ يلحق بفنّ الجغرافية يدعوهُ الفرنج الهدروغرافية اي رسم المياه وفي تعريف مجاري المياه في لبنان فوائد مرتبطة بتاريخهِ ارتباطًا لا تنفصم اواريهُ . وقد ادرك الاقدمون ما في هذا الامر من الشأن الخطير حتى انَّهم اعتبروا بعض عيون لبنان ومياههِ المتفجرة كآلهةٍ حيَّة اكرموها إكرامهم لمعبوداتهم المختلفة . وقد أتينا بشواهد على ذلك في ذكر عين أفقة ونهر ابراهيم المخصَّصين لاكرام الزهرة وتمُّوز

ومن المعلوم ان لا خصب للتربة في الشرق اذا ما انقطعت عنها المياه او قلَّت كميَّتها بحيث لا تفي بحاجة الزراعة . وما بلغ لبنان من العمران ما بلغ الّا لغزارة مياههِ وكثرة مسايلهِ

ومن لطف الخالق انَّ طبقات لبنان العليا تتركَّب من عناصر كلسيَّة كثيرة التفتُّت نَخرة ينساب الماء فيها دون عائق ويتسلسل في منافذ ضيِّقة ثمَّ يتجمَّع في مغاور تحت الجبال كأنَّها خزانات للماء يفيض منها الى اسافل البلاد . ومن المدَد الذي يجري الى تلك الاحواض الطبيعيَّة الماء المتكوِّن من الثلوج الذائبة في قمم لبنان ومادَّتها لا تكاد تنقطع عنها ابدًا فانَّ جبل صنين مثلًا ووادي الارز والنُّقَر المحيطة بهما عبارة عن

احراض من الثلوج يبلغ عمقها من ٣٠ الى ٧٠ متراً وطولها من ٧٠ الى ٣٠٠ متر عرضاً فلا يزال مددها متواصلاً يجري الى المغاور والاوشال التي منها تحصل الجداول والانهار والبُحيرات الموجودة في باطن الجبل

وقد اخبر المهندسون الانكليزيُّون الذين عُهد اليهم سنة ١٨٧٣ فحص مياه نهر الكلب انهم ركبوا قارباً وتتبّعوا مجاري هذا النهر في اعماق الارض. فلمّا قطعوا ١٢٠٠ متر وصلوا الى بحيرة واسعة غزيرة المياه يبلغ عمقها بضع مئات من الامتار وكان ماؤها زلالًا شديد الصفاء والبرودة. وكان يتدلّى من سقف المغارة عُمُد لطيفة من الماء المتحجر (stalactites) وكانت عُمد اخرى (stalagmites) تخرج من حضيض الارض وجوانب البحيرة فتنتصب مرتفعة كشُمُع. فحاولوا ان يقطعوا تلك البحيرة ويتقدّموا في اسراب الجبل فلم يقووا على ذلك فانفتلوا راجعين

واجتهد غير هؤلاء الانكليز من ارباب الهندسة ان يزوروا مغاور أفقة فتقدّموا في منافذها المتعدّدة ووجدوا جداول واحراضاً من الماء لكنّهم لم يبلغوا الى نهايتها. وهذا ممّا يؤيد رأي من قال ان بين افقة وبركة اليمونة وصلةً تجمع بينهما

وهذه المياه الوافرة المخزونة في اعالي الجبال واوشالها الباطنة تنصبّ شيئاً فشيئاً الى الأهوية والبطاح على حسب اعطاف الجبل وأسرابه المختلفة. وربّما وصلت المياه الى سفح الجبال بشدّة غريبة فتنفجر وتفور صاعدةً في الجوّ ثم تجري من نبعها كأنّها النهر في كثرة مياهه. ترى ذلك في نبع نهر بيروت وانطلياس وجيتا وخصوصاً في نبع نهر العاصي عند خروجه من مغارة مار مارون بقرب هرمل. وليس في الشام كهذا النبع يتفجّر بقوّة عجيبة من بين الصخور كأنّهُ مدفوع بمضخّة (طلمبا) قويّة ثم يمتدّ في مسيل طولهُ ١٥ متراً الى ١٧

ومن خواصّ عيون لبنان انقطاعها في بعض فصول السنة. وقد ذكرنا هذا في غضون كلامنا عن بحيرة اليمونة. وقد لحظ الاهلون مثل ذلك في نبع نهر بيروت المعروف بالديشونيّة كما ورد في المشرق (١ : ٢٣٧) وشرح اسباب هذا الانقطاع حضرة الاب صالحاني. ولعلّهُ يوجد سبب آخر لوقوف مياه هذا النهر وذلك اذا انهار شيء من الردم والصخور فحال مدّة دون مجرى المياه. ففي غزّة سنة ١٨٣٧ لمّا اصاب مدينة صفد زلزالٌ هائل نقض ابنيتها وهدم بيوتها انقطعت بغتةً مياه نهر بيروت ولم تعد الى

مسيرها الّا بعد مدّة وكان لونها ضاربًا الى الحمرة ففهم الناس انّ قسمًا من الجبل تهوّر في المياه الداخليّة وحجز دونها. وقد ذكرنا في البشير (في تاريخ ٢٣ ت ١ من هذه السنة) ان بعض التراب والصخور انهارت من سقف المغارة التي يخرج منها نهر الكلب فتناقصت المياه من جرّاء ذلك مدّة ساعتين الى ان دفعت المياه الحاجز من طريقها وعادت تجري كما ألوف عادتها. هذا وفي تقسّم المياه على جوانب لبنان فائدة كبرى تجدي نفعًا كلّ بلاد الشام فضلًا عن الجبل وحده. فكما انّ النيل يحيي البلاد المصريّة كلها كذلك لولا لبنان لأصبحت بلاد الشام كصحراء غامرة لا خير فيها كصحارى جزيرة العرب. فانّ لبنان يمتصّ فوق رباهُ نداوة البحر ويجذب الأبخرة المتصاعدة الى الجوّ فتتكاثف وتنزل على قممهِ امطارًا وثلوجًا تتوزّع من ثمّ على جميع انحاء الشام على هيئة ينابيع وجداول ومُجيرات. فلو عُدم لبنان لنضب نهرا العاصي والليطاني بل ليبست كلّ مسايل سواحل فينيقية. وما كنتَ لتجد شيئًا من حدائق طرابلس ورياض بيروت وبساتين صيداء وبطاح البقاع الخصبة بل كنت ترى مفازات مقفرة تمتدّ مدى البصر وهي جرداء صلعاء ليس في أرماقها ديّار ولا نافخ نار (ستأتي البقيّة)

وسائلنا التجاريّة

لجناب الاديب عبدالله افندي رزق الله شارّ من مأموري سنية ولاية بيروت الجليلة

لمّا كانت الوسائل التجاريّة من اهمّ عوامل هذه المهنة ومسهّلاتها رأينا من اللزوم ذكر نصيب الممالك المحروسة من هذه الوسائط الفعّالة:

١ الانهار: (navigation intérieure) من امعن النظر في خريطة المملكة العثمانيّة رأى انهارها القابلة لحمل المراكب قليلة العدد وبعضها قصيرة المجرى. اعظمها في شمال الروملي نهرُ الطونة (Danube) المشهور. ومن انهارها مريج وورداور وبويانه. لكنها لا تحمل البواخر الجسيمة بل تصلح لنقل الذخائر والكرسته على الجواري الصغيرة. وانهار الاناضول عديدة كقزيل ايرمق وديشيل ايرمق وميخاليج وكدوس وكوجك مندرس وبيوك مندرس وسيحان وجيحان والعاصي. الّا انّ اعظمها فائدة واكثرها رواجًا للتجارة هو شطّ العرب المؤلف من الفرات ودجلة. فتسخرهُ السفائن بسهولة من بصرة الى بغداد. وللعرب هنالك أطوافٌ يسمّونها كلكات يقلون عليها من ديار بكر حتى بغداد انواع السلع والامتعة

لا جرم ان تطهير هذه الانهار وتعميقها ولاسيما دجلة والفرات يعود على التجارة والبلاد بالرواج والنفع . فتكثر المواصلات في داخلية البلاد ويتفسح مجال الاخذ والعطاء فتزيد الارباح ويعم العمران . حقق الله الآمال

٢ الطرق البرية العادية : بلغ مقدار هذه الطرق الآن تقريباً ١٣٤٧٨ كيلومترًا . على انها لم تزل والحق يقال قليلة بالنسبة الى مملكتنا الوسيعة

٣ الخطوط الحديدية : وجهت الحكومة السنية منذ زمن همتها الى توفير هذه العروق الحيوية في جسم بلادها جامعةً فيها بين منافع ترويج التجارة وتسهيل الجيش . وقد نشرت مؤخرًا جريدة ديوان التجارة (chambre de Commerce) في الاستانة العلية جدولًا اعدهُ السيو الكسري مدير السكة الحديدية بين دار السعادة وسلانيك يُستفاد منهُ انَّ طول السكك المذكورة بلغ حتى الآن ٤٩١٤ كيلومترًا . وهذه مفرداتها :

في الروملي : الخطّ الشرقي ١٢٦٣ كيلومترًا = خطّ سلانيك ودار السعادة ٥١٠ كيلومترات = خط سلانيك ومناستر ٢١٩ ك

في الاناضول : خط حيدر باشا وانقره ٤٨٥ كيلومترًا = خط اسكيشهر وقونيه ٤٤٤ ك = خط اسكي قصبة ٢٥٥ ك = خط يكي قصبة ٢٥٢ ك = خطّ آيدين ٥١٦ ك = خطّ بيروت والشام ٢٥٠ ك . المجموع ٤١٩٤

على انَّ صفير القطار لا يلبث حتى يُسمع بين حيفا ودمشق ويرنّ صداهُ في بيرجك وبغداد كما بشَّرتنا بذلك الجرائد . فتجاري عجلاتهُ مياهَ الرافدَين (دجلة والفرات) وتخترق مفاوز الجزيرة الخصبة وتقرّب بعيد الحاقين . تلك ضالة الجميع المنشودة وغايتهم المقصودة

٤ المسالك البحرية والاساكل التجارية : لمملكتنا سواحل عديدة على اهمّ البحار الكرة كالبحر الاسود ومرمرا والادرياتيك والمتوسط والاحمر وخليج العجم طولها نيف وثلاثين الف كيلومتر يصلح اعظمها لدخول السفائن الكبيرة . واشهر اساكلنا التجارية الاستانة وازمير وسلانيك واسكدرونة وبيروت وطرابزون وبصرة وبغداد يتّجرون مع كافة اقطار العالم ويصدرون الى الخارج محصولات البلاد ومصنوعاتها

٥ بحريتنا التجارية : بلغ سنة ١٨٩٧ عدد بواخرنا التجارية ١٠٤ سفن

محمولها ٤٨٥٧٢ طنًا ومقدار المراكب الشراعيـة ١٠١٠ قطعة محمولها ٢٠٠٦٣٤ طنًا. وفي سنة (٩٥ — ٩٦) دخلت الموانئ العثمانيَّة وخرجت منهـا ١٦٢٢٣ باخرة محمولها ٣٥,٥٢٣,٤٣٨ طنًا. وهاك جدول السفائن الواردة الى الاساكل العثمانيَّـة والصادرة عنها سنة ٩٤ مع بيان جنسيَّتها:

الراية	باخرة	مركب شراعي	طن
الدولة العلية	١٢,٢١٦	١٣١,٠٤٣	٧,٣٧٠,٠٨٣
المانية	٤١٣	١١	٤٣٥,٢٣٤
انكلترة	١٤,٧٦٣	٤٧٢	١٤,٤٤٦,٦٢٢
النمسة والمجر	٤,٦٢٣	١٢٦	٤,٣٣٩,٩٠٤
باجكة	٨٤	—	١٥٠,٥٠٨
دغرك	١٨٣	١	٢٠٠,٤٦٠
اسبانية	٤٠	—	٢٤,٥٩١
فرنسة	١,٦٦٣	٥٦	٢,٢٦٨,٤٤٧
اليونان	٧,٥٦٦	٩,٨٠٣	٣,٧٥٦,٧٣٩
فلنك	٢٤٦	٢	٢٧٤,٩٢١
ايطالية	١,٢٥٤	٤٩٩	١,٤٩٩,٢٦٠
الجبل الاسود	—	٢٥٦	١٢,٢٢١
العجم	—	٣٩٩	٢١,٧٥٦
رومانية	٣	١٢	١,٦٣٥
روسية	١,٤٢١	٢١٥	٢,٠٦٩,٦٣٠
سيام	—	٤,١٨٧	٥٤,٥٠٧
اسوج ونوروج	٦١٨	١	٦٩٨,٩٣١
زنجبار	١	٣	٥٥٣
مختلفة	—	١١٣	٢,٤٥٧
المجموع	٤٥,٠٩٤	١٤٧,١٨٩	٣٧,٦٢٨,٤٥٩

٦ البريد والبرق: بلغ عدد مراكز البريد العثماني في الممالك المحروسة حتى سنة (٩٢ — ٩٣) ١٦٤٩ مركزًا وبلغت وارداتهُ ٢١,٣٥٨,٩١١ قرشًا ونفقـاتهُ ٧,٢٣٦,٨٢٩ وبلغ عدد مراكز التلغراف ٧١١ مركزًا وطول خطوطه ٣٥١٠٣ كيلومتر ومجموع طول الاسلاك البرقيَّة ٥٤٣٦٦ كيلومترًا. وعدد التلغرافات العموميَّة في السَّنة المذكورة ٣,٠٢٦,٠٨٥ تلغرافًا منها داخليَّة ومقدارها ٢,٣١٨,٢٢٢ وخارجيَّـة

(internationaux) ٤٤٢,٤١٥ ومارّة داخل الممالك الشاهانيّة (transit) ٥٨,٧٨٠ ومجانيّة (service) ٢٥٦,٦٦٨ . اما واردات التلغراف فبلغت ٦٢,٥٥٠,٤٦٢ قرشاً ونفقاتهُ ٢٧,٥٦٤,٨٨٤ . والدولة العليّة داخلة في اتحاد البريد والبرق الدولي الذي ذكرناهُ آنفاً . وقد مُدَّ اوّل خطّ برقيّ في الممالك الشاهانيّة سنة ١٢٧١ مالية وجرت المخابرة الاولى بين الاستانة وادرنة في رابع شهر آب من السنة المذكورة . ومُدَّ من بعد هذا الخطّ الى شمني ووارنه ومنها الى شبه جزيرة القرم . واوّل نبأ برقيّ ورد من المحل المذكور الى دار السعادة باللغة الفرنسيّة وهذه ترجمتهُ : « دخلت سيواستبولَ جنودُ الدول المتفقة » في ١ ايلول سنة ١٨٥٥

٧ المصارف : ان اكبر مؤسساتنا المصرفيّة هو البنك العثماني تشكّل برأس مال ١١ مليون ليرة عثمانيّة وفُتح بموجب الارادة السنيّة في ٤ شباط سنة ١٨٦٣ وكانت مدّة امتيازه في اوّل الامر ٣٠ سنة الّا انها بلغت عام ١٨٧٤ الى ٥٠ سنة ومؤخرًا الى ٦٢ سنة من بدء الامتياز . ولهذا المصرف شعبات في عواصم اوربّة ومراكز الولايات الشاهانيّة وبعض الالوية المهمّة . على انّ لبعض بنوكة اوربّة ايضاً مثل قره دي ليونه (le crédit lyonnais) شعبات في بعض مدننا الكبيرة

ولمّا رأت الدولة العليّة احتياج الزرّاع احياناً الى النقد واحتكار بعض الصيارفة وخداعهم اسّست سنة ١٨٨٩ بنكاً زراعيّاً في دار السعادة وفتحت لهُ شعبات في اكثر البلاد العثمانيّة تسهيلاً لاشغال الزرّاع ودفعاً لاحتياجاتهم . وقد باشر البنك المذكور معاملاتهِ برأس مال ٣٦٠ مليون قرش . وبلغ عدد شعباتهِ في الممالك المحروسة نيّف و ٤٣٠ شعبة رأسُ مال كلٍّ منها يؤخذ سنويّاً من حاصلات اعشار القضاء الموجودة فيهِ واحدًا في العشرة

وفي البلاد العثمانيّة كثير من المصارف الخصوصيّة لها في ترويج التجارة المحليّة ايضاً يدٌ بيضاء ونفع كبير

٨ دواوين التجارة : شكّلت الحكومة السنيّة هذه الدواوين في مراكز الولايات الشاهانيّة على ما ذكرناهُ في كلامنا عن مسهّلات التجارة . غير ان لديوان دار السعادة فقط جريدة تجاريّة . فحبّذا لو اقتدت بهِ سائر الدواوين فتنشر كل ما يؤول الى احياء التجارة وترويجها في الممالك المحروسة

(التتمّة لعددٍ قادم)

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر الامير فخر الدين عثمان ابن سيف الدين يحيى ابن زين الدين صالح

كان فخر الدين شاباً عاقلاً فطناً ذا معرفة وافرة حوى منذ صغر سنّهِ فنوناً من المعارف مع كتابة حسنة وبلاغة وفصاحة. وكتب مدّةً على الزيامي شيخ الشام بالكتابة المنسوبة ثمّ جوّد على شهاب الدين ابن جوبان الكاتب بعض تجويد وتعلّم شيئاً من النحو وحفظ ملحة الاعراب للحريري وكان لهُ رغبة في مطالعة الكتب وتواريخ الاقدمين والنظر في كتبهم ولهُ معرفة في القريض والنثر بقريحة شريفة ونَسْج المعاني وانشاء الكلام وكان اذا شرع في كتابة شيء من المكاتبات والمراسلات وغيرها اشغلهُ ذلك عن سماع كلام المخاطب لهُ وعن ردّ الجواب عليهِ. واجمع من رأوهُ على انهم لم يروا احداً على هذه الطريقة مثلهُ ومثل الشيخ الثقة (كذا) الذي كان نائباً عن ناظر الجيش في ديوان الجيش بالشام وبالجملة فالمذكور كان جامعاً محاسن كثيرة محتويًا على لطائف عدّة منها ما كان يحفظهُ لبديع الزمان من نظم ونثر وبعض معرفة بالجبر والمقابلة وصناعة الحساب اشتغل في ذلك على نجم الدين كاتب الميناء في بيروت. وتولّى رئاسة ابيهِ بعد وفاتهِ سنة تسعين وسبعمائة (١٣٨٨ م) وكان عمرهُ اذ ذاك (١١١٢) قريباً من ثماني عشرة سنة فحزّم رأيهُ وساس نفسهُ سياسةً تعجز عنها الشيوخ الكبار. وسمعتُ من جماعة شيوخ لهم قدمةٌ في السنّ من البيت ومن غيرهِ انهُ لم ينشأ في البيت مثلهُ في صغر سنّهِ فسلك في رئاستهِ احسن طريقة فشكرهُ قومهُ وكان الناس يتعجّبون من حسن عقلهِ وسياستهِ في صغر سنهِ مع انهُ قاسى في أيّامهِ صعوبةً ومشقّة من اختلاف الدول وما جرى بينها من الفتن مع جملة الديون الكثيرة المتخلفة عن والدهِ والمغارم والكُلَف بتغيُّرات نوّاب الشام في تلك السنين. ومع هذا جميعهِ كان ثابت الجأش رابط الجزم قويّ الهمّة شديد العزم حجّ الى البيت الحرام مع ابيهِ كما تقدّم ذكرهُ وكان المذكور متولّيًا جميع امور ابيهِ

ذكر بعض حوادث جرت في ايّامهِ

في سنة احدى وتسعين وسبعمائة (١٣٧٩ م) خرج السلطان الملك الظاهر برقوق

من سجن الكرك وحضر الى دمشق وحاصرها بعد ان كسر نائبها جنتمر. وكان في ذلك الوقت دولت بار السنجاري عينهُ امراء الطبلخانات بدمشق متولّيًا في بيروت. فارسل السلطان برقوق مرسومهُ وهو محاصر لدمشق الى امراء الغرب يستدعيهم بالحضور اليهِ ورسم لهم ان يحملوا على دولت بار المتولّي ويمسكوهُ ان امتنع عن الحضور معهم. وورد ايضًا على دولت بار المذكور مرسوم بمثل ذلك. فاتفقوا جميعًا وتوجّهوا الى السلطان برقوق (١ وهو مقيم (٢١١) على قبّة يلبغا محاصرًا لدمشق وطلب منهم رصاص منجنيق كان في بيروت فارسلوا عزّ الدين حسن ابن ظهير الدين علي بن جواد لاحضار ذلك

ونظر السلطان برقوق امراء الغرب بعين الحبّة واستمرّوا عندهُ في هناء حتى حضر تمرغا منطاش بالسلطان حاجي الملقّب بالمنصور وبالعساكر المصريّة. فتوجّه السلطان برقوق الى شقحب لقتال منطاش ومن حضر معهُ وجعل على ميمنتهِ كتبغا الحمويّ نائب حاب. وكان امراء الغرب مع كتبغا المذكور في الميمنة فكسر عساكر منطاش ميمنة برقوق فانهزم كتبغا وامراء الغرب معهُ وعادوا الى بلادهم وهم يظنّون انّ برقوق مكسور مع انهُ كان منصورًا في تلك الوقعة. فلمّا وصل امراء الغرب الى الغرب وجدوا ارغون من قبل المنطاشيّة قد حضر الى بيروت متولّيًا عليها واجتمع عليهِ علي ابن الاعمى واقاربهُ من تركمان كروان وجماعة من المنطاشيّة. وكان الغرب قد عصى عليهم لكون اقاربهم عند السلطان برقوق. فتوجّهوا لمحاربتهم ونزل اهل الغرب الى قرب الساحل ولم يحسنوا التدبير فاستظهر عليهم المنطاشيّة وقتلوا منهم تسعين نفرًا ومسكوا منهم جماعة فستروا منهم البعض ووسّطوا البعض ونهبوا ما وجدوا في بيروت لامراء الغرب. وكان لفخر الدين المذكور في بيروت زيت وصابون وقماش وآلات مختلفة عن والدهِ فنهبوا ذلك جميعهُ (٢١٢) وحصل على المذكور بذلك ضرر كثير وكان قد حصل عند امراء الغرب من هزيمتهم من شقحب حاصل كبير فتضاعف بما جرى في

١) جاء في حاشية الكتاب ما نصّهُ: اسماء امراء الغرب الذين توجّهوا الى السلطان برقوق في قبّة يلبغا: فخر الدين عثمان وعماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين وعزّ الدين ابن حسن ابن ظهير الدين وسيف الدين ابو بكر وناصر الدين محمّد ابن جمال الدين. وهؤلاء حضروا المصاف على شقحب خلا عماد الدين الذي رجع الى البلاد عند ما ركب برقوق الى جهة شقحب والتقى باهل الغرب

الغرب من جهة المنطاشيّة . فما تمادى بهم المقام في البلاد حتى تعقّبهم من كان تخلّف عنهم من جماعتهم في شقحب واخبروهم بان السلطان برقوق انتصر على منطاش في وقعة شقحب ثم فاز به في وقعة ثانية بظاهر دمشق وقيل لهم ان السلطان توجّه منصورًا الى مصر وفي قبضته الخليفة والسلطان حاجي ابن الاشرف شعبان والقضاة الاربعة . فلمّا تحقّق امراء الغرب ذلك توجّهوا على الساحل الى مصر وكان توجّههم الى مصر في اواخر محرّم سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة (١٣٩٠م) فكان وصولهم الى مصر عقيب وصول السلطان برقوق حتى ظنّ انهم حضروا في جملة العساكر معهُ وأنفق عليهم مثلما أنفق على العساكر واعطى السلطان برقوق نيابة الشام الطنبغا الجوبانيّ . فلمّا عاد امراء الغرب الى البلاد وجدوا عليّ بن الاعمى وجماعة تركمان كسروان قد طلعوا واوقعوا باهل الغرب وكسروهم وقتلوا منهم جماعة ونهبوا عدّة قرى وكان في جملة المقتولين عماد الدين موسى ابن حسّان بن ارسلان وكان المذكور خير قومهِ واجودهم . فلمّا استقرّت قواعد الدولة الظاهريّة جرّدوا لمقاتلة تركمان كسروان علاء الدين ابن الحرفوش (؟) وعشران البقاع فقتلوا عليّ بن الاعمى وهزموا جماعتهُ (٢١١٢) من التركمان وبعد مدّة مسكوا اخاهُ عمر ابن الاعمى ثمّ افرجوا عنهُ بعد حبسهِ مدّة وحصل عليهِ مشقّة

فلمّا جرت الواقعة التي قُتل فيها الجوباني اعطوا يلبغا الناصريّ نيابة الشام . فطلب امراء الغرب ان يكونوا مجرّدين بدمشق فتوجّه فخر الدين وجماعتهُ وحضروا مع يلبغا الناصريّ في الحروب التي كانت بينهُ وبين منطاش بدمشق وقتل جماعة امراء الغرب في هذه الحروب المذكورة عزّ الدين عبد العزيز العقلاني محتسب بيروت . ولمّا جرى المصافّ بين الناصري المذكور ونعير (؟) البدويّ بارض عذراء بظاهر دمشق كان امراء الغرب مع الناصريّ وكانت الكسرة على الناصري وجرى على عسكر الشام كلّ مكروه ونُهب امراء الغرب وجميع جماعتهم وجُرح منهم جماعة . وممّن جُرح فخر الدين المذكور في صدغهِ جرحًا بليغًا وفُقد شجاع الدين عبد الرحمان ابن عماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين محمد . وقُتل في ذلك اليوم علاء الدين ابن الحاش (؟) وكان ذا سطوة وكان منطاش قد قتل قبلهُ اباهُ واخاهُ امسكهما في بعلبك . وكان السلطان قد اعطى علاء الدين المذكور امرة طبلخاناة . ولم تزل بلاد الشام في خباط حتى قُتل منطاش وحضر السلطان برقوق الى حلب وقتل الناصريّ فهدأت بلاد الشام بذلك

فلمَّا سكن الاضطراب جعل السلطان يولي على الشام في كلّ وقت نائبًا جديدًا فما زال امراء الغرب وفخر الدين في مغارم وتعب حتى تولَّى الشام تَنَم (٢ ج ١١)

فاستقرَّت القواعد وكانت أيام تَنَم احسن الايام وكان فخر الدين المذكور بعد وفاة ابيهِ قد شرع في تكملة ايوان بيروت الذي كان عمرهُ ابوهُ وكان تأخر من عملهِ البياض والطراز والترخيم فلم يكمل ذلك حتى جرت حركة المنطاشيَّة في بيروت فبطل الصنَّاع منهُ ولم يكمل ذلك. وكان فخر الدين قد شرع بوفاء ديون ابيهِ فوفى منها جانبًا ولم يطل عمرهُ حتى يكملها وكان كبير الاجتهاد عليها. وفاتهُ رحمهُ الله تعالى في الثلث الاوَّل من ليلة الاربعاء عشرين من شهر محرَّم سنة ستّ وتسعين وسبعمائة (١٣٩٣ م). وقد اجمع قول اقاربهِ على أنهُ لمَّا توفي كان عمرهُ اربعًا وعشرين سنة ومنهم من قال انَّها تنقص شهرًا واحدًا ومنهم من قال انَّها تزيد اربعة عشر يومًا. ثمّ بعد وفاتهِ بأيام قليلة كان طاعون هلك فيهِ صبيان كثيرون واطفال وبعض الكبار. وكان عامًّا في سائر البلاد (١

والصغار الذين توفُّوا من البيت هم عبد الرحمان سميّ اخٍ لهُ توفّي قبلهُ واحمد وفاطمة وهؤلاء اخوة فخر الدين عثمان المذكور. وتوفي احمد ابن شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد وحسن ابن ناهض الدين حمزة ابن فتح الدين محمد ثمّ ابراهيم وكان سميُّ اخٍ لهُ توفّي قبلهُ وهو ابن ناصر الدين الحسين ابن تقيّ الدين ابراهيم بن الحسين ثم عليّ وكان سميّ اخٍ لهُ توفّي قبلهُ. ثمّ احمد ويوسف واختهما اولاد عزّ الدين ابن عليّ بن جواد. هؤلاء جميعهم كانت وفاتهم في جمادى الاولى سنة ستّ وتسعين وسبعمائة (١٣٩٤ م) (٢ ج ١١)

ذكر الامير شجاع الدين عبد الرحمان بن عماد الدين اسمٰعيل ابن فتح الدين محمد

كان هذا الامير شجاعًا جوادًا متطبّعًا باخلاق الناس وكان ابوهُ عماد الدين اسماعيل قد تزل لهُ عن اقطاعهِ وهو امريَّة عشرة فتجرَّد مع امراء الغرب في نوبة يلبغا الناصريّ صاحب الشام لمَّا حارب نعيرًا امير العرب على قرية عذراء بظاهر دمشق وانهزم الناصري المذكور وسلبت عربان نعير عسكر الشام وقتلت منهم خلقًا كثيرًا وسلبوا

١) جاء في هامش الكتاب بيتان في الطاعون:
« قُبِّح الطاعون دا» ذهبتْ فيهِ الاحبَّهْ ارخص الانفسَ بيعًا كلّ محبوبٍ بحبَّه »

امراء الغرب وجرح منهم جماعة وقُتل من بينهم شجاع الدين عبد الرحمان المذكور وذلك سنة ستّ وتسعين وسبعمائة (١٣٩٣ م) وكان عمرهُ قريباً من سبع عشرة سنة وكان مع هذا السنّ رجلاً ملتحياً يعلق المشط بلحيته وبقي اهلهُ مدّة بعد فقده يرجون انهُ اسير عرب فير ويسألون نفوسهم بعودهِ ثمَّ أيسوا بعد مدّة واسترجع ابوهُ الاقطاع عن ولدهِ لانهُ لم يكن لهُ ولد ذكر غيرهُ

ذكر الامير بهاء الدين داود بن علم الدين سليمان ابن شهاب الدين احمد

كان رجلاً عاقلاً قليل الجهل ساكن الطباع رَيض النفس لم يكن عندهُ التفات الى شيء من انواع الصيد واللهو ساس نفسهُ ودبَّر حالهُ بعقل ودعة. وأغري بالكتابة فكتب كتابة كتبة واجود كتابتهِ الثلث وهو دون طبقة ابيهِ المقدَّم ذكرهُ. واشتغل في صناعة الصياغة ونقشهُ جيّد اقتبس الصياغة من خالهِ ناصر الدين محمد (٧١١٤) ابن جمال الدين محمد ابن زين الدين. واقطاعهُ رحبان ونصف وهو كان اوّلاً لصلاح الدين من بني اولاد ابي الجيش من عرامون. وكان لصلاح الدين المذكور امريّة خمسة. فاتّفق شهاب الدين احمد واخوهُ سيف الدين يحيى ولدا زين الدين علىّ اخذ هذه الامريّة وان يجعلاها لولديهما علم الدين سليمان ابن شهاب الدين ولفخر الدين عثمان ابن سيف الدين فلم يحضر المنشور حتى توفّي علم الدين المذكور فنزل شهاب الدين لابن اخيهِ فخر الدين عمَّا كان باسم ولدهِ وبقيت امريّة الخمسة بكمالها لفخر الدين. فلمَّا توفي فخر الدين في عشرين محرَّم سنة ستّ وتسعين وسبعمائة (١٣٩٣ م) جعلوا لبهاء الدين داود نصف امريّة بواسطة عمّيهِ شرف الدين وسيف الدين ابي بكر السابق ذكرهما .

وكان مولد بهاء الدين داود نقلاً عن خطّ والدهِ المغرب من نهار الجمعة العاشر من شهر شعبان سنة اربع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٣م) الموافق للرابع من شهر شباط. ولمَّا جاء تيمرلنك الى بلاد الشام سنة ثلاث وثمانمائة (١٤٠٠م) وحضر الملك الناصر فرج بن برقوق لمحاربتهِ ارسل قبل وصولهِ الى دمشق مرسوماً الى تنكز بنا نائب بعلبك والكاشف على صيداء وبيروت ان يأخذ عشران البقاع وصيداء وبيروت ويلاقي السلطان الى دمشق فحضر تنكز بنا الى صيداء وبيروت فتوجَّه امراء الغرب معهُ وبينهم بهاء الدين المذكور وتوجَّه المقدَّمون والعشران من ثلاث معاملات ومعهم متولّي بيروت وهو (٧١١٤) ناصر الدين محمد بن سويدان البيدمري. فلمَّا وصلوا وادي دُمَّر وراء جبل الصالحيَّة

وجدوا عساكر السلطان هاربة من تيمرلنك فرجع المذكورون مع الهاربين وتصوّر لهم ان التيمرلنكيّة تطردهم فـلاذوا هم ايضاً الى الهرب ورموا لبوسهم وبعض سلاحهم وقماشهم ليخفّفوا بذلك عن خيولهم ووثقوا على السرعة بالخفّة. ففارق كلّ خلّ خليلهُ ولم يلتفت الرفيق الى رفيقهِ وفُقد في ذلك اليوم بهاء الدين المذكور ولم يُعلم لهُ خبر. فمن رفقتهِ من قال: رايتهُ وصل الى البقاع. ومنهم من قال: كان قدّامنا عند وصولنا الى زبدل. ومنهم من قال: انقطع عند ميسنون ولم يصل الى البقاع. ومنهم من ظنّ انهُ اختلط بعسكر السلطان وراح معهم الى بوادي التيم. واختلف القول في امر المذكور ولكن القول المرجّح انهُ تعدّى البقاع في اوائل الناس. والمظنون انهُ أُصيب عند بساتين زبدل او فوقها والله اعلم « وعند الله تلتقي الخصوم »

وقد أُصيب من عسكر السلطان في ذلك اليوم وبعدهُ من العشران واهل الجبال خلقٌ كثير ومن انفرد من العسكر اباده العدوّ سلباً وقتلاً وبيعت الخيل واللبوس والسلاح بارخص الاثمان. وجرى على المنفردين من العسكر ما لا يستحقّهُ عبّاد النار والاوثان فنسأل الله العفو والعافية. وكان هرب العسكر من تيمرلنك يوم الجمعة العشرين من جمادى الاول سنة ثلاث وثمانمائة (١٤٠٠ م) وهو اليوم الذي فُقد فيه بهاء الدين المذكور (التتمّة للآتي)

المشاهد الفتّانة في رحلة الاستانة

للاب بولس جوون البسوعي (تتمّة لما سبق)

٥

وصفنا في مقالتنا الاولى شيئاً من الآثار القديمة التي تزيّن الاستانة وتذكر مفاخرها الغابرة فبقي علينا ان نورد عن محاسنها الحاضرة ما راقنا مدّة اقامتنا فيها

انّ في عاصمة الدولة العثمانيّة اوقعها بين قارّتي اوربّة واسيّة آثاراً لتمدُّنين مختلفين احدهما مستحدثٌ جديد يأتيها من العالم الاوربّي والآخر قديم وهو ثمرة الشرق. فاما الاوّل فلا حاجة الى الاطالة في وصفهِ وهو عبارة عن دور رحبة حافلة بابواب الهناء ومخازن كبرى تزدحم فيها الباعة والمشترون ومراسح ومطاعم الى غير ذلك

مما يسرّ به المحدثون وتجده متوفرًا في حارة بيرا. واما التمدّن الشرقي فهو الضالّة التي كنّا ننشدها بمجيئنا الى الاستانة فأحببنا ان نورد لقرائنا ما عثرنا عليه من هذا القبيل

قد حُذف اسم القسطنطينيّة باسطنبول واسلامبول سواء اشتقّ من قسطنطينوبوليس (Κωνσταντινούπολις) او من قول الروم: لنذهبنّ «الى المدينة» (εἰς τὴν πόλιν) وزعم البعض ان المراد باسلامبول «مدينة الاسلام» والصواب ما ذكرنا. اما «الاستانة» فهو اسمها الفارسيّ ومعناه العاصمة او البلدة

والآراء متضاربة في عدد سكّانها فمن مقلّ يزعم ان نفوسها لا تتجاوز ٥٠٠٠٠٠ ومن مكثر يرتأي انّ اهلها يبلغون ١,٢٠٠,٠٠٠. وانما نرى اقرب الى الصواب قول من يرجّح عدد القبر نفس اللهمّ اذا أُحصيت سكّان الاستانة مع ضواحيها اللاحقة بها على ضفّتي البسفور كأشكودرة وحيدر باشا وقاضي كوى من جهة آسية وكأرباض البلد المتسعة من جهة اوربّة شمالًا. قيل انّ المسلمين فيها يبلغون ٤٥٠٠٠٠ الفًا والروم ٣٥٠٠٠٠ والارمن ١٠٠٠٠٠ منهم نحو خمسة عشر الفًا من الكاثوليك وعدد اليهود ٧٠٠٠٠ والفرنج ٤٠٠٠٠

والاستانة طيّبة الهواء معتدلة الّا في بعض الشتاء فانّ البرد يشتدّ فيها ويكثر تساقط الثلج وتهبّ نفحات القرّ من البسفور. اما الحرّ في الصيف فليس بلافح لما يمرّ على البلدة من النسيم الآتية من الشمال وهي ريح باردة ترطّب هبّوات الحرّ. وفي جوّ العاصمة بعض الرطوبة تتكوّن من تبخّر مياه البسفور فتلطّف حمارة القيظ وربّما انعقد البُخار وهطلت الامطار الغزيرة فتكسر شباة الحرّ

ومما يجعل سكنى الاستانة طيّبة في الصيف كثرة مياهها وهي تجري اليها بالقنيّ من بحيرة تبعد بضعة اميال عن العاصمة تدعى تيركوس. بيد انّ كثيرين لا يرضون بهذه المياه لشربهم ويؤثرون مياه عيون عذبة ينقلها الحمّارون الى بيوت الخاصّة بخرزس (براميل) من ضواحي القسطنطينيّة ومنها ما يؤتى به من عيون عذبة على الضفّة الاسيويّة فيباع بالقناني

هذا وما يزيد القسطنطينيّة بهاء وحسنًا خليجها الشهير المعروف بالبسفور وقد سبق لنا شيء من وصفه واسمه مشتقّ من اليونانيّة (Βόσπορος) معناه ممرّ البقرة

وذلك لانَّ بقرةً تقوى على اجتيازه بالسباحة لقصره . وزعم اليونان في خرافاتهم انَّ المشتري مسخ الإلهة إيو بقرةً فقطعت هذا الخليج سابحةً . وطول البسفور من بحر مرمرا جنوبًا الى البحر الاسود شمالًا عبارة عن ٣١ كيلومترًا في شرقيهِ و ٣٨ كيلومترًا في جهتهِ الغربيَّة . امَّا عرضهُ الاوسع فلا يتجاوز ٣٠٠٠ متر وهو يضيق بين قلعتي اوربَّة وآسية فيصبح عرضهُ ٥٥٠ مترًا فقط . والجيولوجيون يرتأون انَّ قارة آسية كانت في القرون الغابرة متصلة بقارة اوربَّة وانَّما فتح الخليجَ بينهما سيلٌ عرمرم او زلزال هائل . وهكذا جرى لبوغاز بيرينغ الفاصل آسيَّة عن اميركة . وعلى ضفَّتي البسفور قصور ومعاهد رحبة ومطاعم وحدائق متواصلة تتوفَّر فيها اسباب الهناء فزرناها وتحقَّقنا صحَّة قول الشاعر عنها :

ودهرٍ بسطينَّةٍ قد قطعتُهُ إذ السعد عبدٌ لي بها وخديمُ
بلادٌ هي الدنيا اذا ما قطعتُها قوجهُ الاماني سفرٌ ورسيمُ
وما هي الَّا جنَّة الخلد بهجةً وما غيرها الَّا لظىً وجحيمُ
فكم في مغانيها قضيتُ لبانةً وزالت عن القلب الكليل همومُ
تقول اذا شاهدتَ عالي قصورها أمذي جنانٌ زخرفت ونعيمُ
كستها النوادي حلَّةً سندسيَّةً واهدى شذاها للنفوس شميمُ
يقابلها ذاك الخليج بصفحةٍ كانَّ لها متن السماء تحذومُ
ترى السُّفن فيها جاريات كانَّها جيادٌ قنها سابقٌ ولطيمُ

والحقّ يقال انَّ مرسى الاستانة من اجمل مراسي الدنيا واكثرها حركةً فترى السفن فيهِ بين واردة وصادرة لا تني في مسيرها . وقيل انَّ عدد المراكب التي تدخل ميناء الاستانة في السنة تبلغ نحو عشرين الفًا عدًّا . وقد تولَّت شركة افرنسية ابتناء مرصف للميناء على ضفَّتي قرن الذهب بيد انَّ هذا العمل استلزم مالًا طائلًا لان قرار الخليج هناك بالغ العمق لم يتَّصل اليهِ البنَّاؤون الَّا بمشقَّة . وقد ساخت الارض بقسم من هذا المرصف منذ عهد قريب فاقتضى المهندسين اعادة بنائهِ

امَّا قرن الذهب فهو خليج من البسفور يمتدّ من الشرق الى الغرب الشماليّ طولهُ نحو اربعة آلاف متر وعرضهُ نحو ٥٠٠ ضفَّتاهُ حافلتان بالمخازن فترى في جنوبهِ وغربهِ اسطانبول وفي شمالهِ وشرقهِ الترسخانة وغلطه . وقد دُعي بقرن الذهب لهيئتهِ وغنى الناس الساكنين بجواهِ وحسن مناظرهِ من جانبيهِ . وعليهِ جسران من خشب على سوارٍ وقوائم ثابتة وهما ينفتحان من وسطهما لعبور المراكب

اما بيوت القسطنطينيّة فهي مرتفعة ذات طبقات عديدة كدور عواصم البلاد واكثرها مبنيٌّ بالخشب لكثرته وبخس اثمانه. ولا غرو انَّ النار تجد لها في مثل هذه الابنية طعاماً سهلاً فتلتهمها بوقت قليل. والحريق احدى آفات الاستانة قيل انَّ معدّل وقوعها مرَّة في ثلاث ليالٍ. وكثيراً ما تنتبه في ليلك اذ تسمع صوت العسس يصرخون بل. اشداقهم « يانغين وار » اي « وقع حريق » وهم يقرعون البلاط بهراوى في ايديهم قرعاً هائلاً ثمَّ تسمع جلبة اصحاب المضخّات يسرعون الى الشوارع المعيَّنة لاطفاء النار وربَّما ساعدوا اللهيب بالنهيب وتلك ثالثة الاثافي. وقد اخبرني كثيرون انَّ الحريق يحدثُ في الغالب عمداً يقصدهُ اصحاب بعض الحانوات طمعاً في ما يضمنهُ لهم من المال شركات الاستهاد (السيكورتاه) بدلاً من مبلغ معلوم يؤدّونهُ لها. وقد شرع البعض يبنون دورهم او قسماً منها بالآجرّ يطلونهُ بالدهون كما يفعل الانكليز في بلادهم

٦

ومما يبهج مناظر احياء الاستانة مآذنها الرشيقة التي تنطح برأسها الجوّ كأنها السلّات وهي من الرخام يعلوها رواق مخروط ينتهي الى نقطة. وتحتها قُبب الجوامع على شكل قبَّة ايَّا صوفيا. ودخلنا بعض هذه الجوامع فوجدناها رحبة لكنَّها لا تضاهي في حسنها جوامع القاهرة. وكثير منها يزيّنها الخزف الصينيّ المعروف بالقاشاني ذو اللون الازرق او الاخضر وهم يأخذونهُ ترابيع ينظّمونها على طراز جميل ومنها ما هو على شكل القيشاني بتصاوير ونقوش حسنة وكتابات جميلة كما ترى في جوسق چينيلي والعثمانيُّون مُغرَمون باستعمال الخزف المنقوش

ومن الابنية التي تستحقّ الذكر في الاستانة الجواسق والقصور. اما الجواسق فكلها لطيفة رائقة المنظر تجعل في وسط الحدائق والمروج الخضراء فيجتمع فيها سراة المدينة لرشف كؤوس الهناء والراحة. واحسن جوسق وجدناهُ في الاستانة الجوسق المنسوب لبغداد وهو مثمّن الزوايا. اما قصور الاستانة فعديدة نخصُّ منها بالذكر قصر يلديز العامر الذي يسكنهُ صاحب العزّ والجلال السلطان عبد الحميد خان أيَّد الله اركان دولته مدى الدوران. وهو عبارة عن قصور متعدّدة متَّصلة ببعضها على احسن هندام تشرف على خليج البسفور ومناظره الفتانة. وحول يلديز من الرياض الزهيَّة والحدائق البهيَّة والزهور البديعة الالوان والاشجار الباسقة الافنان وعيون المياه الرائقة والاحواض

المتدفّقة والجداول المترقرقة ما يبهر الابصار ولا تفي بوصفه الاسفار

ومن القصور الشهيرة التي يتوارد الى زيارتها السيّاح طلمه بغجه وبكلربغ وهذا من جهة آسية قد اجتمعت فيهما اصناف البدائع وضروب التحف واللطائف. وباني طلمه بغجه انّما هو السلطان المعظّم عبد المجيد خان أنفق عليه القناطير المقنطرة فجاء من العجائب التي يندر وجود مثلها في عواصم البلاد لما ضمّنهُ من المعاهد البديعة العظيمة والردهات الوسيعة الضخمة والنقوش المفرغة في قالب الحسن والبهاء

ومن الابنية الفسيحة في الاستانة عدة سرايات ودور شهيرة منها سراي السلطان محمد الثاني شيّدهُ في محلّ قصر الملك يستنيان وتأنّق في تزيينه ويزيدهُ موقعهُ جمالًا وقد احترق منهُ جانب في سنة ١٨٦٥. وبجوار هذا السراي باب همايون اي الباب الملكي الشريف وهو باب مرتفع من رخام ابيض واسود وفي قائمتيه عمودان صغيران من الرخام وكان يُدخل من هذا الباب الى مقام الانكشارية سابقًا

وسراي السلطان محمد الثاني كان رحب الارجاء يشتمل رأس قرن الذهب وكان حولهُ سور حصين. واليوم قد اتّخذ لمتحف العاديات المذكور سابقًا وخُصّص قسم آخر للمكتب الطبي العثماني الذي فيه يدرّس صاحبا السعادة مظهر باشا استاذ علم التشريح وخير الدين باشا استاذ الامراض الخارجيّة وصاحب الرفعة اسماعيل بك استاذ الاكلينيك الداخليّة الذين قدموا بيروت في هذه الايّام الاخيرة لامتحان تلامذة مكتبنا الطبي

وفي السراي المذكور ايضًا مكتبة السلاطين قيل انّها تتضمن من الكتب الخطّيّة النفيسة ما لا يُحصى. وهناك ايضًا الخزينة السلطانيّة التي اسعدنا الحظّ على زيارتها ولا يدخلها احد دون الارادة السنيّة. وقد شاهدنا فيها من الجواهر الثمينة والحجار الكريمة والاسلحة والآنية والثياب ما لم يتخيّلهُ وهمٌ. وفي بعض تلك المعاهد ترى تماثيل سلاطين آل عثمان العظام بحلّتهم القديمة الفاخرة. والسكّة الحديديّة تمرُّ اليوم حول سراي السلطان محمد قاصدةً سان ستيفانو

ومن البنايات الشهيرة في اسطنبول البابُ العالي الذي منهُ تصدر الاوامر الشريفة وهو بجوار جامع ايّا صوفيا ولهُ موقع حسن يشرف على نواحي المدينة وهو عبارة عن دار واسعة تشتمل على ردهات كثيرة يقيم فيها الصدر الاعظم وبعض الوزراء ولهُ مدخلان جميلان احدهما قديم من جهة ايّا صوفيا من الرخام الابيض الصقيل والآخر

حديث موقعهُ الى الجنوب لهُ قنطرتان بدعائم من رخام

ومنها ايضاً دار السر عسكريَّة في وسط اسطنبول وهو بناء عظيم أُنفق في تشييدهِ نحو عشرين مليون فرنك تسكنهُ امارة الجيوش الشاهانيَّة. وفي وسط هذه الدار برجٌ رفيع يكشف الناظر من اعلاه على العاصمة كلها. ومنهُ يرقب الحرس ما يحدث من الحريق في المدينة

ومن البنايات الحريَّة بالذكر في الاستانة منازل سفراء الدول. وموقع اكثرها في غلطه في مشارفها المطلَّة على البحر وهندستها على الطريقة الاوربيَّة تُحدق بها الحدائق الحسنة التنسيق الجامعة لكل اصناف الهناء. واجمل هذه القصور واعظمها شأناً دار سفارة المانية يراها الركَّاب عن بُعد من بحر مرمرا فيعجبون من سعتها ورحب مغانيها وهي مبنيَّة بالحجارة البيض تكتنفها القياض الخضرة والرياض النضرة. وليست بقيَّة السفارات اقلّ شأناً من السفارة الالمانيَّة لاسيما قصور سفارة الدولة الفرنسيَّة والروسيَّة والانكليزيَّة

٧

وممَّا تفتخر بهِ القسطنطينيَّة مدارسها ومكاتبها ومطابعها. فالمدارس فيها كثيرة نخصُّ منها بالذكر المكتب السلطاني يدرّس فيهِ نحو خمسين استاذاً اللغات الشائعة في انحاء المملكة العثمانيَّة مع فروع العلوم الادبيَّة والتاريخيَّة والجغرافيَّة والرياضيَّة يبلغ عدد طلبتها نحو ٥٠٠ طالب من كلّ الملل والطوائف والحكومة السنيَّة هي التي تقوم بنفقات دروسهم. ومنها ايضاً مكاتب للفنون العسكريَّة وللفقه والحقوق ثم للطبّ بفروعهِ. ولكلّ هذه المكاتب اساتذة بارعون تلقَّنوا المعارف العلوم في مدارس اوربَّة الشهيرة. ومن مكاتب الحكومة السنيَّة بكلدي يتهذَّب فيهِ الضبَّاط على آداب الحرب. ومكتب حلقي من جزائر الامراء لتثقيف الضبَّاط البحريين

هذا ولا يسعنا السكوت عن مدارس عديدة زاهرة يتولى تدبيرها المرسلون اللاتينيون كمدرستي الآباء المازاريين في غلطة وبيره ومدرسة الاباء الصعوديين ومدارس عديدة لاخوة المدارس المسيحيَّة لاسيما مدرسة قاضي كوي ومدرسة الآباء الارمن المكيتاريين الشائعة الشهيرة وكلها حافلة بالطلَّاب يحرز اساتذتها ثقة الاهلين واعتبارهم

امَّا المكاتب فمنها عدد وافر واكثرها بجوار الجوامع يصعب الدخول اليها. وقد

تمكّن بعض فضلاء المستشرقين من تدوين قوانينها فنشرها بالطبع وكلها غنيّة بالمخطوطات الشرقيّة القديمة. وبعض هذه المكاتب لا يتوصّل اليها العلماء الّا بمشقّة كمكتبة ايا صوفيا الشهيرة. ومن المكاتب العامّة الحافلة بالكتب الشرقيّة مكتبة جامع السلطان بايزيد تحتوي على تآليف عديدة بالعربيّة والتركيّة والفارسيّة. وقد أُلحقت بالمتحف السلطاني مكتبةٌ علميّة جامعة للمطبوعات الخطيرة في الآثار القديمة والماديّات. فوجدنا فيها من هذا القبيل كلّ ما كنّا نتمنّاه من الكتب الغاليـة الثمن العزيزة الوجود. والمتولّي على نظارة هذه المكتبة سعادتلو مستاكيديس افندي. ولا بدّ ايضاً من ذكر خزانة كتب المكتب الروسيّ فان فيها اشهر ما الّفه القدماء. والمحدثون عن القسطنطينيّة وآثارها وعن التاريخ البوزنطيّ. وفي دار المجمع الرومي (Syllogue) مكتبة اخرى عامة جديرة بالذكر اهداها للعموم بعض المثرين من اليونان

امّا المطابع فاشهرها المطبعة العثمانيّة انشأها عثمان بك وجهّزها بكل آلات الطباعة الحديثـة للطبع على الحروف الرصاصيّة وعلى الحجر وقد تولّى ادارتها سعادتلو جواد بك بعد وفاة ابيه وفيها من العدّة ما يفي على الماشي عامل

وقد تعدّدت في هذه السنين الاخيرة المطابع فمنهـا بلديّة ومنها اجنبيّة. وتوفّرت كذلك عدد الصحف ينشئها اصحابها بالتركيّة والعربيّة والافرنسيّة واليونانيّة والانكليزيّة والفارسيّة بيد انّ المبرّزين في هذا الميدان قليلون

امّا تجارة الاستانة فهي قائمة على ساق لا تزال في ارتقاء ونجاح والدليـل على ذلك كثرة البواخر التي ترسو في ميناها تأتيها من البحر الاسود ومن بحر مرمرا فتفرّغ فيها محصولات كلّ البلاد ثمّ تشحن منها سائر الشرق باجمعه فتنقلها الى جميع اقطار الدنيا. ولها تجارة واسعة بالطنافس والبسط الشرقيّـة والمنسوجات الحريريّة والقطنيّة واصناف الجبوب والجلود والبنّ والعنص والتبغ والشمع والفواكه المقدّدة والحلويات وبعض المعادن والمواشي والخيل. وممّا يزيد يوماً بعد يوم في تحسين التجارة العثمانيّـة امتداد الاسلاك الحديديّة من الاستانة الى البلاد الاجنبيّة والى انحاء الممالك المحروسة

٨

هذا نظرٌ عامٌّ في بعض احوال القسطنطينيّة ذكرناها بغاية ما امكن من الاختصار وكان بودّنا ان نصف شيئاً من المنازه التي بجوار الاستانة على ضفّتي آسيّة واوربّة بيد

انَّ ذلك يؤدي بنا الى الاطالة ونكتفي بذكر اسمائها. فمنها سان ستيفانو على الضفَّة الغربيَّة وميلة الى الشمال الشرقي « ماتري كوى » وفي كليهما مقامات يستحمُّ بها اهل القسطنطينيَّة. ومنها الغياض التي عند قعر الخليج يتردَّد اليها الناس لترويح النفس وهناك جامع ايوب الذي قُتل سنة ٦٦٨ م لمَّا حاصر المسلمون القسطنطينيَّة لاوَّل مرَّة. والجامع المبنيّ فوق قبره قد بناهُ السلطان محمد الثاني الفاتح وفيه السيف الذي يتقلده السلاطين يوم جلوسهم على منصَّة الملك. ومنها على ضفَّة الخليج روملي حصار اي قلعة اوربَّة وهي الحصن ابتناه السلطان الفاتح محمد الثاني فجعل اسواره على شكل حروف عربيَّة منطقها « محمد » وانجز هذا البناء بثلاثة اشهر مع انَّ سمك السور يبلغ عشرة امتار وطولها يناسب سمكها. ومنها ايضاً ترايا وبوبوك دره وعندها مصايف السفراء وفيهما من المحاسن البديعة ما يكلّ عن وصفهِ اللسان وخليج البسفور ينتهي هناك الى بحر الاسود

امَّا المنازه التي على ضفَّة آسيَّة فهي من جهة الشمال قصر « اناضولي كيالك » شيَّدهُ الجنويُّون في القرن الرابع عشر وآثارهُ الى اليوم ماثلة تنبئ بهندستهِ العجيبة. ثم جبل الجبَّار او جبل يشوع يزعم البعض ان فيهِ قبر يشوع بن نون ثمَّ يليكوس من ابهى الرياض وابدع الحدائق ثمَّ اناضولي حصار وهي القلعة المواجهة لروملي حصار ثم بلاط بكلربغ حيث تزلت الملكة اوجينيا زوجة نابوليون الثالث ثم اشكدار من ارباض العاصمة وهي المدعوة عند الاقدمين بخريسوبوليس (Chrysopolis) وعدد اهاليها اليوم نحو ٥٠٠٠٠ وبالسهول المجاورة لها غلب قسطنطين الكبير خصمهُ لوكينيوس. ثمَّ محطة حيدر باشا يليها جنوباً قاضي كوى او خلكيدونية التي فيها صار المجمع المسكوني الرابع سنة ٤٥١ وفيهِ ازدلت الكنيسة بدعة اوطاخي

واذا ملت من ثمَّ الى الجنوب الشرقيّ وجدت عدَّة جزائر صغيرة فهي الجزائر المعروفة بجزائر الامراء والترك يدعونها جزائر الكهنة (پاپاز اداس) واليها كان ينفي ملوك الروم اعداءهم من الامراء الذين قهروهم بالملك لئلا يكيدوا لهم المكايد وربَّما كانوا يحبسونهم بعد سَمل عيونهم في بعض الاديرة المشيَّدة هناك ليقضوا فيها حياتهم. وهذه الجزائر تُعدُّ اليوم من نَدَوات البسط واللهو يزدحم فيها اهل الثروة للمسرَّات. فذكَّرتني كلّ هذه المشاهد بقول المعلم بطرس كرامة الشاعر المشهور:

مذ جئتُ اسطنبولَ شمتُ محاسنا دعتِ المحاسنَ كلهنَّ الى ورا
فلوكها شرف الملوك وربعها خير الربوع واهلها نعم الورى

هذا ورأينا ان نختم مقالتنا بذكر شيء من احوال الكثلكة في الاستانة. فنقول انَّ للكاثوليك في عاصمة المملكة العثمانيَّة مقاماً رفيعاً بعناية المتبوع الاعظم جلالة السلطان عبد الحميد خان الثاني. وعددهم فيها لا يقلّ عن نحو ٨٠ الفاً بين وطنيين واجانب. واكثر الوطنيين عدداً الارمن لهم في الاستانة كنيستان احداهما في پيره وهي الكنيسة الكاتدرائيَّة زرناها يوم جلوس غبطة البطريرك الجديد السيد عمانويليان وكانت غاصَّةً بالشعب يتقدَّمهم اعيان كلّ الملل وسفراء الدول الكاثوليكيَّة. وكنيستهم الاخرى في غلطة وفيها دُفن الامير بشير الشهابي والي جبل لبنان الشهير لمَّا توفي في الاستانة في ٢٩ كانون الاول سنة ١٨٥٠. وللروم الكاثوليك بين يونان وملكيين خمس كنائس يديرها نحو ثلاث منهنَّ الآباء الكرْجيون وفي احدى هذه الكنائس في فري كوى نُصب تمثال العذراء الطاهرة المنسوب لسيّدة لورد فجرت عنده المعجزات العديدة كما تجري في نفس مدينة لورد وذلك ما حمل بعض المؤلفين على ان يصنّف كتاباً دعاهُ « عذراء لورد في الاستانة » اثبت فيه قسماً من هذه الخوارق العجيبة. وللسريان الكاثوليكيين والكلدان والموارنة في القسطنطينيَّة بعض معابد خاصَّة. وقد اشتهر من الموارنة في الاستانة صاحب العزَّة سليم باشا ملحمة ناظر الزراعة والمعادن. اما اللاتينيُّون فانَّ كنائسهم في الاستانة كثيرة منها قديمة ومنها حديثة اشهرها كنيسة الروح القدس وهي الكنيسة الكاتدرائيَّة يُجري فيها القاصد الرسولي الحفلات الدينيَّة ثم كنيسة القديس مبارك والقديسة برطاريا وكلتاهما في يد الآباء العازاريين. وليس لهذه الكنائس ما تمتاز به. هذا وللمرسلين اللاتينيين والراهبات في الاستانة اعمال مبرورة ومشروعات حسنة توجب الثناء عليهم منها المدارس للذكور والاناث والمستشفيات والمياتم والجمعيَّات الخيريَّة كما هو شأنهم في جميع مدن المملكة العثمانيَّة. وعدد الرهبان فيها يُنيف على ١٥٠ راهباً بين دومينيكيين وفرنسيسيين وكبوشيين ويسوعيين وعازاريين وصعوديين وقياميين. اما الراهبات فعددهنَّ ٣٠٠ من عشر رهبانيَّات مختلفة يسعينَ في كلّ اعمال الخير الروحي والجسديّ اجزل الله ثوابهم جميعاً وجعل مثالهم قدوةً لكلّ اهل الخير

الكلم اليونانية في اللغة العربية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

٥٥ (القيصانة) قال اللغوي المتفنن الاب لامنس اليسوعي في كتابه المترجم بالفروق: «القيصانة (بثاء مثلثة فوقيَّة بعد الالف) سمكة صفراء مستديرة» اه. قلتُ: واللغويون اجمعون ذكروها باسم قَيصانَة (بنون موحدة فوقيَّة بعد الالف). وهذه أدْور على ألسن اللغويين من تلك وان كانت ابعدها عن الاصل منها ومصحَّفة عنها. ولا نعلم عمَّن نقل الاب الفاضل تلك الرواية اذ لم نقف لها على اثر في الكُتُب التي بايدينا وهي باليونانيَّة χρυσοφρύς اي السمكة المذهَّبة وبالفرنسيَّة Chrysotose *ou* Lampris guttatus وبلسان علم الاسماك lampris tacheté, *vulg*. poisson-lune فاسقطوا الراء في تعريبها لانها من احرف الزلاقة وحملًا اياها على الاوزان العربيَّة

٥٦ (الشِلَق) قال في التاج: «الشِلَق بالكسر او ككَتِف سمكة صغيرة او على خلقة السمكة لها رجلان عند الذنب كرجلَي الضفدع لا يدان لها تكون في انهار البصرة. وقيل هي من سمك البحرين. وليست بعربيَّة. او هي الانكليس من السمك وهو الجرّيّ والجرّيث عن ابن الاعرابي» اه بحروفه. قلنا وقد نقل الضياء (١: ٣٠٨) بعض هذا الكلام ولم يزده ايضاحًا لا بل زاده ابهامًا لانهُ جعلهُ من الأسماك الدبّابة وهو ليس منها. ولفظة الشلق معرَّبة كما قالهُ الزبيدي وهي في اصلها اليوناني اسم يشمل انواعًا من السمك وهو في هذه اللغة Σελάχεια ويُراد بها: «كل سمكة غضروفية الهيكل» وهي تقابل ما يُسمَّى اليوم عند الافرنج Chondroptérygiens اي الغضروفية الزعانف ويُريدون بها ما كان يريد اليونان بلفظة الشلق اي: الحنوش Sturioniens بانواعها (الحنوش جمع حَنش وسيأتي ذكرها انَّها معرَّبة بما معناها بالفرنسيَّة Esturgeon) والأشلاق: Sélaciens *ou* Plagiostomes (والاشلاق جمع شِلق ويُراد بها اليوم اسماكًا كثيرة منها: القِرش او الكوسج Requin. وسمك القرش Squale واللِيّاه Lamie والملاك Squatine *ou* Ange وابو المنشار Scie وقطّ البحر Raie والجُلح Milandre وكلب البحر Roussette *ou* Chien de mer والرعّادة Torpille وابو مطرَقة Marteau وخنّوص البحر Humantin وابو سهاز

Aiguillat الخ)والمواص Cyclostomes ou Suceurs ومنها أبو مَرِينا Lamproie

اما في العربية فقد غلب اسم الشلق على « ابي مَرِينا » لكن لما كان هذا ظاهرهُ يُشبه ظاهر الجرّي والجرّيث قالوا انهُ احد هذين الاثنين فالتبس عليهم الامر كما التبس عليهم امر الجرّي والجرّيث فجعلوهما اسمين لمسمى واحد وهو خطأ كما ستراهُ في محلهِ. وابو مرينا كثير الوجود في انهار البصرة الى يومنا هذا. لكن لما كان من السمك الذي يتنقل بين البحر والبحر قال قوم من العرب انهُ من سمك الانهار وقال قوم انهُ من سمك البحرين. وأما وجلاهُ فيراد بهما هاتان الزعنفتان اللتان يختلف تركيبهما عن تركيب سائر الزعانف فحقّ لهم ان يسموها باسم يختلف عن اسم الزعانف واما اهل بغداد فيسمّون اليوم شلقًا سمكًا غير أبي مرينا واوصافهُ هذه: ابيض اللون واسع الفم نسبةً الى صغر جسمهِ طويل الرأس وصقيلهُ وعريضهُ وفي شاربيهِ اربع شعرات وبفمهِ أسنان ولون ظهرهُ مُشرب سوادًا وهو مرغوب عندهم لجودة لحمه واسمهُ باللغة الفرنسية Lotte goujon وبلسان العلماء Cottus gobio. واظنّ ان سبب تسميتهِ بالشلق مشابهتهُ للجرّي في بعض ظواهرهِ وكما انهم ظنوا ان الشلق هو الجرّي هذا اهل بغداد هذو من تقدّمهم في التوهُّم بدون تبصُّر. والله الهادي الى الصواب

٥٧ (القِرّيثُ او الجِرّيث) معرَّب عن أنقليس ἔγχελυς واليك بيان ذلك: انهم ابدلوا اولًا النون لامًا كما قالوا التماعة واللماعة ومثل ذلك كثير عندهم. ثم توهموا ان اللام هي للتعريف او زائدة لا للاصالة كما قالوا بَرباريس في أنبرباريس فصارت قليس (او قليسًا تبعًا للاعراب وهو ما نهملهُ في مثل هذه المواضع لاننا نرمي الى غرض الحكاية لا الى هدف الاعراب). ثمّ قُلبت السين ثاء مثلّثة تبعًا للثغة لبعض قبائل العرب وهم الذين يقولون الوطس في الوطث والسمايب في الثمايب والجسمان في الجثمان (المزهر ١: ٢٦٧) فصارت قليث. ثمّ أبدلت الراء لامًا كما قالوا في ردم الثوب لدمهِ وقي أمرَط املط وفي منقطر منقطل (المزهر ١: ٢٦٦) فصارت قريث. ثمّ لما كان اصل لفظ هذه القاف الكاف الفارسيّة المثلّثة اي ڜ وهي الجيم الحقية عاقبوا بين القاف والجيم كما يعاقبون بين الشيرج والشيرق في الآخر والقربز والجربز في الاول والمقذاف والمجذاف في الوسط فقالوا: القرّيث كما قالوا: الجرّيث(١

---

١) انَّ في هذا الاشتقاق لنظرًا مع ما فيهِ من الدقّة العجيبة (ه. ل)

والجريث غير الجرّيّ بل هما سمكتان متشابهتان اسماً ومسمىً لكنّهما تختلفان بعض الاختلاف من اوجهٍ خفيّة تظهر للمتبصّر : منها الاشتقاق اللغوي فان الجرّي عربيّ محض وصيغتهُ من صيغ المبالغة مأخوذة اما من الجَرْي اي العَدو وهو مشهور به في الماء (اللغويون مادة ج ر ي) واما من الجرّ وحينئذٍ يكون على طريق النسبة اذ هذا السمك كثيرًا ما يوافي الشواطئ ويجرّ منها نهاية الاطعمة الملقاة عنها. ولهذا ذكرهُ اللغويون في مادة ج ر ايضًا. ومن هذه الاوجه ايضًا الهيئة فان الجرّيّ في صغرهِ يشبه الجريث البالغ اشدّهُ كل الشبه الّا انهُ يمتاز عنهُ بشواربهِ وهي لا توجد في الجريث ويخلوّ ظهرهِ من حرفٍ ناتئ. زعنفي التركيب على ظهرهِ وهو موجود في الجريث. وكل من ينظر الى هذه الفروق والفصول ويُعدّها عرضيّة اشتبهت عليهِ الحقيقة. غير انّ البغادة المشهورين بفصاحة الالفاظ وكثرة الحروف الاصطلاحيّة يميزون بين هذين السمكين. واسم الجرّيّ معروف عندهم ومنهُ القول المأثور والمثل المشهور عند اهل الشيعة : « مَن يأكل الجرّي. من عليّ متبرّي » واما الجريث فاسمهُ عندهم : « المرمريج » وهو تصحيف المارماهيج او الماوماهي اللتين هما من اسماء الجريث

(ستأتي البقيّة)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفر اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني عشر

في العود الى خدمة نسيب

— هلمَّ نشرب على صحّة بروسبر اولوي. لماذا لا تجيب يا فاضل جوابًا. . . أأنت من محبّي بروسبر اولوي الذي لو كان عرفك لـ . . . ولكن هلمَّ هلمَّ الى الشراب فانَّ بروسبر اولوي يرقد مطمئن البال في وسط الجليد بضايق شيلكوت. والرجل كلّ الرجل من يقدر على اكتشاف مدفنه الجليديّ في تلك المجاهل. . . ألا تنطق ألا تجاوب ولو بكلمة. . ألا تعلم انك لولاي لوقعتَ في خطر عظيم هو السقوط اوّلًا في الهاوية وثانيًا الشنق. ولا أُخفي عليك انني أُحب لو وقفت على تاريخ حياتك يا من تتكّر باسم « بيترس لاضف »

— ماذا يهمك من تاريخي ألا تعلم اني غير ملتزم ببيانه لاحد من الناس ؟

— ما لك وهذا الامتناع . أو ما تدري انني مع إبائك إيضاحهُ استطيع ان أتوصّل الى معرفتهِ فاوّلًا لا يُنكر انك في مدّة اقامتك القصيرة باميركة اعربت عن دراية عظيمة امكنك بها ان تجتنب الوقوع في ايدي رجال الشرطة والجواسيس الذين كانوا يبثُّونهم للتفتيش عنك . ولقد أحسنتَ في ما عملت لانك لولا ذلك . . .

قال هذا ولم يُسمع بعدهُ سوى صوت الضحك والقهقهة يقاطعهُ التطام الاقداح وقناني الشراب

ثم استؤنف الكلام على الوجه الآتي : « لقد شوهد فاضل هذا في شيكاغو غير انهُ كان قد تسمّى هناك بيترس لاضف وكان ذا ثروة عظيمة مكّنتهُ من احتكار الحبوب اما قبل ذاك فكان يبيع البضاعة متجوّلًا . هكذا جاء في حكايتهِ فهل لك ان تخبرني من اين جاءهُ الثراء بغتةً فان في ذلك لسرًّا ولا نكير ان فاضل من الحذّاق البارعين . . ومع هذا فما زلتَ يا فاضل في السنة الثلاثين من عمرك فكيف لو تجاوزتها »

وما كاد فاضل يسمع هذا الكلام حتى اعتراهُ خجل لا يوصف فخفض رأسهُ ولم ينطق ببنت شفة وكان يتذكّر الراهبة جانّ ماري وما وعدها بهِ من استقامة السلوك في اثناء مرضهِ

وعاد المتكلّم الى حديثهِ قائلًا : « لا اقصد مما سبق تأنيبًا او توبيخًا فانا نعلم ان حضرة الخواجا خبير بتدبير الامور وكفى دليلًا انهُ أقصى بروسبر اولري الذي كان طلبهُ للبراز الى النواحي القطبيّة . ومع كلّ هذا فقد كان يريد ان يقتني خطوات بروسبر اولري هذا ويتخوّن من اجل شيء يسير صديقًا لهُ . ولكنّ فاضلًا يخاف على جلده ويعلم ان أقلّ كلمة تجرّ عليهِ الوبال . كيف لا وكُرة صغيرة من كرات المسدّسات كافية لتخرق عظم رأسهِ . هلمّ نشرب يا فاضل على صحتك بل على صحّة بروسبر اولري »

حدث كلّ ما تقدّم ذكرهُ في غرفة منخفضة ضيّقة مظلمة عند مائدة (طاولة) عرجاء كان يلتطم عليها قدحان مُشتبَهٍ في نظافتهما وكان وقتئذٍ يتفلّت من بعض صدوع المواقد الموضوعة في زاوية الغرفة لهيب كَبِد مصحوب بدخان اسود . وكان باطن الغرفة المذكورة كباطن سائر المنازل في مدينة داڤسون سيتي التي أُنشئت على عجل في تلك

النواحي القطبيّة فجاءت ركاماً من البيوت. هذا اذا تسامحنا باطلاق اسم البيوت على اكواخ حقيرة مبنية بالاخشاب دون ترتيب ولا هندسة حتى كانت اشبه شيء بالاخصاص التي يقيمها الباعة المتجوّلون في أيام المواسم ثمّ ينقضونها في اليوم التالي

والصيف في هذه النواحي القطبيّة يدوم عشرة اسابيع الى اثني عشر اسبوعاً في الكثير وتبقى فيه الطرق مسلوكة والانهار صالحة لسفر القوارب من غاية حزيران حتى اوائل ايلول. فاذا انقضى هذا الوقت يأخذ الترمومتر في الهبوط حتى انهُ قد يتّصل الى الدرجة ٦٣ من مقياس فارنهيت وحينئذٍ تتكوّن طبقة كثيفة من الجمد في نهر يوكون ويتساقط الثلج بغزارة سادًا مضايق شيلكوت

ويا لله كيف يتأتى العيش اذ ذاك لاولئك الالوف المنكوبين المحبوسين في دائسون سيتي. كيف يستطيعون الحياة وقد تعذّر عليهم كلّ اتصال مع الساحل وكل سعي في جلب الاقوات بل امتنع عليهم ايضاً ان يفرّوا من مقامهم هذا الى مقام آخر يجدون فيه فرجاً. لا شك انهم يموتون جوعاً تجاه الذهب المدفون تحت ارجلهم

ولنعد الان الى الكلام على نسيب فنقول انهُ حالما وصل الى دائسون سيتي بادر الى مأموري حكومة كندة التي هي المالكة لمناجم كلوندايك لكي يؤدي الرسوم المضروبة ويكتسب كغيره حقّ البحث عن الذهب. امّا الرسم المضروب فيختلف بين ٢٠ و ٣٠ في المائة على المؤن التي يكون قد احتملها المهاجر ولا يخفى ان المهاجر لا يستطيع ان يستصحب معهُ الى تلك الجهات اقلّ من اربعمائة كيلو من الاقوات والّا عرض نفسهُ للموت جوعاً

ثمّ ان مأموري حكومة كندة يعاملون المهاجرون من الغرباء بشدّة وقساوة لاسيما اذا كانوا من الاميركيين. ولمّا كان نسيب وفاضل قد صرّحا بانهما اميركيان وتقاضوهما أعلى درجة من الرسم. وكان فاضل قد اضطرّ ان ينفق كلّ ما معهُ منذ خروجه من جونو حتى وصوله الى دائسون سيتي وهكذا فرغ كل ما كان قد ادخرهُ من المال فاضطر ان ينخرط في خدمة نسيب الذي عيّن لهُ اجرة مئة فرنك في اليوم واعدًا اياهُ بالمساعدة على استحصال قطعة من الارض يشتغل فيها لحسابه باستخراج الذهب

وكانت بداءة الشغل متعبة شاقة ولاسيما على فاضل

هذا وبعد ان عرف القارئ ما جرى في دانسون سيتي يتعجب بلا شك من رؤيته فاضلاً متقيّداً بخدمة نسيب. لاسيما وان هذا المنكود اللبناني كان قد وطن النفس على مجانبة من كان يحبهُ سبب بلاياهُ ومصائبهِ. وكان قد سافر مع المرسل اليسوعي الى جونو غير ان ثوران الزوبعة التي لم تكن منتظرة حال دون انتقالهِ لان الثلج كان قد سدّ الطرق وجعل كل سفر ممتنعاً

وبما ان فاضل كان صفر اليدين وفارغ الجيب من النقود اغتنم نسيب فرصة ارتباكه لاجل استجلابهِ اليه. وقد سبق الخبر في اثناء هذه الرواية كيف انهُ اشتغلهُ عندهُ في مناجم كاليفورنية هاضماً حقوقهُ واتعابهُ فاسداً اخلاقهُ وآدابهُ

اما فاضل هذا فبالنظر الى ضيق ذات يده لم يطلب سوى ما يدفع عنهُ غائلة الجوع وقد رضي بكلّ ما اقترحهُ عليهِ نسيب من الشروط القاسية وعلى هذا صار خادماً بل عبداً لنسيب فكان هذا الاخير يأمر وينهي وفاضل يخفض الرأس ويطيع صاغراً

وكان وقتئذٍ قد قارب الصيف ان ينتهي وخاف الباحثون عن الذهب ان يدهمهم الشتاء فيحول دون مرامهم فجدُّوا في الشغل اي جدّ حتى لم يكن يُسمع في تلك الاوض سوى ضرب المعاول وصرير المجارف وخرير المياه التي كانت تُصبّ على التبر لاجل تصفيتهِ. واذا جاء المساء وعاد كلّ واحد الى كوخهِ لم يكن من يتكلّم الّا عن مقدار ربحهِ في نهارهِ وما التقطهُ من شذور الذهب الى غير ذلك من الاقوال التي كان مدارها على المعدن الثمين وكلّ ذلك بين تعاطي الكؤوس وتلاطم قناني الشراب والاغاني الخلاعيّة المفسدة للآداب. ومن ثمّ كان شراب « الويسكي » يسيل ما بينهم كالسواقي فان تلك الجهات المقفرة اذا خلت من كل شيء لم تكن لتخلو من المسكرات

وبينما كان الشراب قد لعب بالادمغة قال نسيب لفاضل:

« ما اظنّك يا فاضل مغضباً بانتهائك الى كلوندايك حيث تجمع الذهب وافراً. آه لو اردتُ ان أُعدم حضرة الخواجا لفعلتُ في اسرع من لمح البصر ولكن لم تزل لي بهِ حاجة لبعض الشؤون. فعلى بيترس لاضف اذاً ان يخدمني بالحذق الذي اشتهر عنهُ في شيكاغو »

اما فاضل فما كان ليسمع او ليرى لان الأبخرة كانت قد ملأت دماغهُ وسرى

تأثيرها في سائر جسمه فكان يضحك متهقهاً كالابله المعتوه

واذ ذاك تقدَّم اليه محدّثهُ وعيناهُ تقدحان شرراً فقال: « هذه ورقة صغيرة عليك ان توقعها ». ثم ناولهُ اياها مع القلم. فنظر اليها فاضل نظر المبهوت. ثم تدحرجت من يد نسيب على المائدة فقطع الذهب فمدَّ اليها فاضل يد طامع شره في اخذها

— مهلًا ايها الصديق اني اعطيك كلّ هذه القطع ولكن عليك قبل كل شيء ان توقع الورقة

— ولماذا التوقيع ؟

— كن مطمئنًا فما هذه الّا ورقة صغيرة كما ترى. وثق اني اعطيك هذه القطع كلها ومثلها ايضاً فتصير غنياً... غنياً... بل أغنى مما تتصوَّر. هلمَّ ايضاً نشرب قدحاً آخر على صحّة بروسبر اولري

قال هذا وضحك مقهقهاً كاهل الجحيم وشرب فاضل قدحهُ دفعةً واحدةً متظاهراً بان الشراب لم يؤثر فيه

— قلتُ لك انهُ لا بدَّ من توقيع هذه الورقة لاسيما وانك بتوقيعها تصير غنياً

فنظر فاضل اليها وكان الشراب قد اعماه فاصبح لا يعرف قراءة حرف منها ثمَّ تناول قلماً وخطَّ بيد مرتجفة اسمهُ على المحل الذي عيَّنهُ لهُ محدّثهُ. وما كاد ينتهي حتى انقلب على كرسيه ونام (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

1 EBN MALEK
L'ALFIIAH TRADOTTA E COMMENTATA
da Errico Vitto, *Beirut*, 1898, pp. XX-425
شرح الفيَّة ابن مالك في اللغة الايطاليَّة

2 HOSSAN KUEIDER
DIZIONÀRIO DEI TRIPLICI
Tradotto da Er. Vitto *Beirut*., 1898, VIII-242
نيل الارب في مثلَّثات العرب لحسن قويدر وترجمهُ في الايطاليَّة

اهدانا سعادة قنصل ايطاليا العام في بيروت العلَّامة المستشرق هنري ڤيتو هذين

الكتابين اللذين سعى بنقلهما الى اللغة الايطالية وزيّنهما بشروح حسنة تدلّ على طول باعهِ في معرفة آداب اللغة العربيّة . وفي صدر كلا الكتابين مقدّمة يبيّن فيها المؤلف غرضهُ من وضع شروحهِ ويرشد الطلبة الى اقتباس فوائدها . اما ترجمة الاصل فهي على غاية ما يمكن من الدقّة والامانة . والشروح الملحقة به تتضمّن لباب تفاسير النحويين لاسيما العلّامة ابن عقيل . فنثني على همة سعادة القنصل الذي يخدم العلوم هذه الخدمة النصوح فضلًا عن خدمة وطنهِ بتتمّة واجبات رتبتهِ السامية

كتاب المعين في الاقتراح على طلبة العربية

الجزء الاول للمعلّم

من تأليف اللغوي الفاضل سعيد افندي الخوري الشرتوني عدد صفحاته ٢٢٥

ان ما لاقاهُ الجزء الاوّل من كتاب المعين في عالم المدارس من الحفاوة والكرامة استحثّ همة مؤلفهِ الفاضل للمبادرة الى انشاء الجزء المخصّص بالاساتذة ليتوفّر لهم وقت ثمين يصرفونهُ في تثقيف عقول تلامذتهم . ولا نشكّ في انهم يقدّرون هذه الخدمة قدرها ويقبلون على اقتناء هذا القسم اقبالهم على مطالعة احسن التآليف الانشائيّة . وممّا يسرّهم في هذا الكتاب تصرّف صاحبهِ بالمواضيع المختلفة كالرسالات المنسجمة والاوصاف الرائقة والروايات الشائقة يعرضها بالفاظ حرّة رصينة وعبارات بليغة متينة ترشد الطلّاب الى طرائق الانشاء الحسن . فاثاب الله المؤلف الفاضل وأيّدهُ على اتمام الجزئين الباقيين ل . ش

دفع الاوهام لابن سلام

اهدى الينا جناب الفاضل النحرير السيد عبد الرحمان سلام احد كتبة المحكمة الشرعيّة في بيروت كرّاسةً سمّاها « دفع الاوهام لابن سلام » فنّد فيها ما ارتكبتهُ مجلة الضياء من الاوهام بتغليط بعض مشاهير المؤلفين في ما استعملوهُ من الالفاظ والتراكيب . وقد كان بودّهِ ان يتتبّع كل المقالة التي صدّرتها بعنوان « لغة الجرائد » غير أنهُ لمّا رأى ان سقطاتها كثيرة اعرض عن هذا العزم مكتفيًا بان يبيّن لها ان التحامل على جهابذة الانشاء الذين لا تلحق لهم غبارًا هو فوق قدرها واعلى من منزلتها

وبما ان المقام في هذا العدد يضيق عن الاتيان بشيء من الردّ المذكور نؤجل ذلك الى العدد الآتي ر . ش .

شذرات

القوى العاقلة في الحيوان — لنا ملاحظات عديدة في ردّ جناب خليل بك سعد في الضياء على مقالة حضرة الخوري الفاضل قسطنطين باشا نبديها ان شاء الله بعد جواب حضرته لئلاَّ ينخدع القرّاء ببهرجة كلام « الكاتب الفاضل »

طاش سهم الضياء — نقل الضياء (ص ١١٨) قسماً من كلامنا (المشرق ص ٩٥٧) عن الاغلاط الواردة في قصيدة الحلي (مجاني الادب ٦ : ٥٧) فاخرجهُ غير مخرجهِ وجعلهُ تهكُّماً بنا كما هو دأبهُ عند بطلان حجّته. ومن راجع كلامنا هناك تحقَّق (اوَّلاً) انَّ هذه الاغلاط ليست منّا بل « كلُّها » في النسخة التي اخذنا عنها. وهي النسخة الباريسيَّة المطبوعة في ليبسيك. (ثانياً) اننا لم نصلح هذه الاغلاط كما يفعل العلماء المستشرقون اذا ما نقلوا قطعةً عن اصل مغلوط لئلا يعبثوا بها باصلاحهم لما يسبق اليهِ وهمهم انهُ غلط وليس بهِ. (ثالثاً) اننا لمَّا وقفنا على الطبعة الدمشقيَّة الصادرة بعد طبع مجاني الادب قابلنا بها قصيدة الحلي فاصلحنا ما تيسَّر لنا. (رابعاً) وقلنا انَّ اصلاح الضياء لقول الشاعر : « ظلُّوا تأنيك عن عجز. البيت » لا يوافق الطبعتين الليبسيكيَّة والدمشقيَّة اذ روتا كما روينا لا كما اصلح صاحب الضياء. (ص ٥١). وجوابهُ الاخير مناقض لقولهِ السابق. فطاش اذن سهم المنتقد وما انتقادهُ ألَّا تئنُّت

علاج التدرُّن الرئوي — لا يزال الاطباء يبحثون عن الدواء الناجع في شفاء المتدرّنين لانتشار هذه الجائحة وفتكاتها الذريعة الموفية على فتكات أفظع الحروب واسوإها عُقبى. وممَّا روي في المجلات العلميَّة انَّ الدكتور مَنْدل قدَّم تقريرًا للمجمع العلمي في باريس يفيد فيهِ انَّهُ عالج كثيرين من المصابين بالتدرُّن على طريقة ادَّت بهم الى الشفاء التامّ او تحسَّن بليغ في صحَّتهم. والدواء المذكور هو مزيج يتركَّب من خمس غرامات من خلاصة السعتر وخمس غرامات من خلاصة الاوكاليبتوس ومئة غرام من زيت الزيتون المعقَّم تحقن بهِ قصبة رئة المصاب مرَّة في النهار على مدَّة بضعة ايام متوالية

ميكروب داء السرطان — تمكَّن الدكتوران برا (Bra) وشوسّه (Chaussé) من إفراز ميكروب داء السَّرطان. وهو عبارة عن فطريَّة

غاية في الدقّة كبرها بين ثلاثة اجزاء الى ١٢ جزءاً من الفِ المِلّمتر . وهو مستدير الشكل او بيضويّ لونهُ اصفر ضاربٌ الى الخضرة . واهل الدكتورين وطيد بوجود عاكس لهذا الداء العقام

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب المعلّم الاديب خ . بيدس : ١ ما هو مراد كتبة الفرنج بهذه العبارة « طوبانيا القرون المتوسّطة » عند ذكرهم لنهر الجالود المنساب في مرج ابن عامر والمنصبّ في الاردن . ٢ ما هي الكتابة الصوابيّة لعلَم يدلّون به على السهل الشرقي الواقع في خلف جبلَي عيبال وجرزيم أهو « مخنا » او « محنا » او « المخنة » . ٣ ما هي الشجرة التي يدعوها الفرنج « ميروڤالام » التي ادّعى روبنصن انّ عربيّتها « تسوكم » . ٤ ما معنى اسم بحيرة في فلسطين كانت تدعى قديمًا « فيالا » وهل اسمها الحالي « بركة رام » او « بركة ران » . ٦ ما هي الكتابة الصوابيّة لاسم ربًى قليلة الارتفاع تفصل برّية فلسطين المعروفة قديمًا ببرّيّة قديموت (تثنية ٢ : ٢٦) الى قسمين شمالي فجنوبيّ ؟ هل اسمها « السويلي » او « السوبلة » او « السبلي » ؟

عين طبغون . مخنة . الزقوم . بيت رام الخ

ج نجيب على السؤال (الاوّل) ان ما دعاهُ الصليبيّون في كتبهم "Tubania" هي عين طبعون . وهذا اسمها الحاليّ . وعلى (الثاني) ان الصواب « مخنة » بالخاء والتاء المربوطة . وعلى (الثالث) ان « الميروڤالام » هو تعريب اللفظة اليونانيّة μυροβάλανος والفرنسيّة myrobolan وهو الإهليلج المعروف ولعلّ روبنصن بلفظة « تسوكم » المصحّفة اراد « الزقّوم » (١ . وعلى (الرابع) انّ اسم « فيالا » مشتقّ من اليونانيّة φιάλη وهي الكأس الواسعة المنبسطة شبّهت البحيرة بها . اما « بركة رام » فصواب كتابتها بالميم . وعلى (الخامس) اننا لا نعرف ربًى في تلك البرّيّة تدعى بهذه الاسماء المصحّفة . فان اراد السائل جوابًا فليذكر الكتاب الذي وجد فيه هذه الاسماء . ه . ل .

اصلاح بعض اغلاط = ص ٩٥٧ س ٢٢ « كلاها يروي » والصواب « كتاها تروي » = ص ٩٩٦ س ١٧ « المتشدّخين بالتمدّن » والصواب « المتشدّقين » = ص ١٠٤٠ س ٢ « لكثرتهُ » والصواب « لكثرتهِ »

١) راجع تأليفنا Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe, p. 251

قائمة للآثار الجوّية من ٢٤ تشرين الاول الى ٧ تشرين الثاني ١٨٩٩

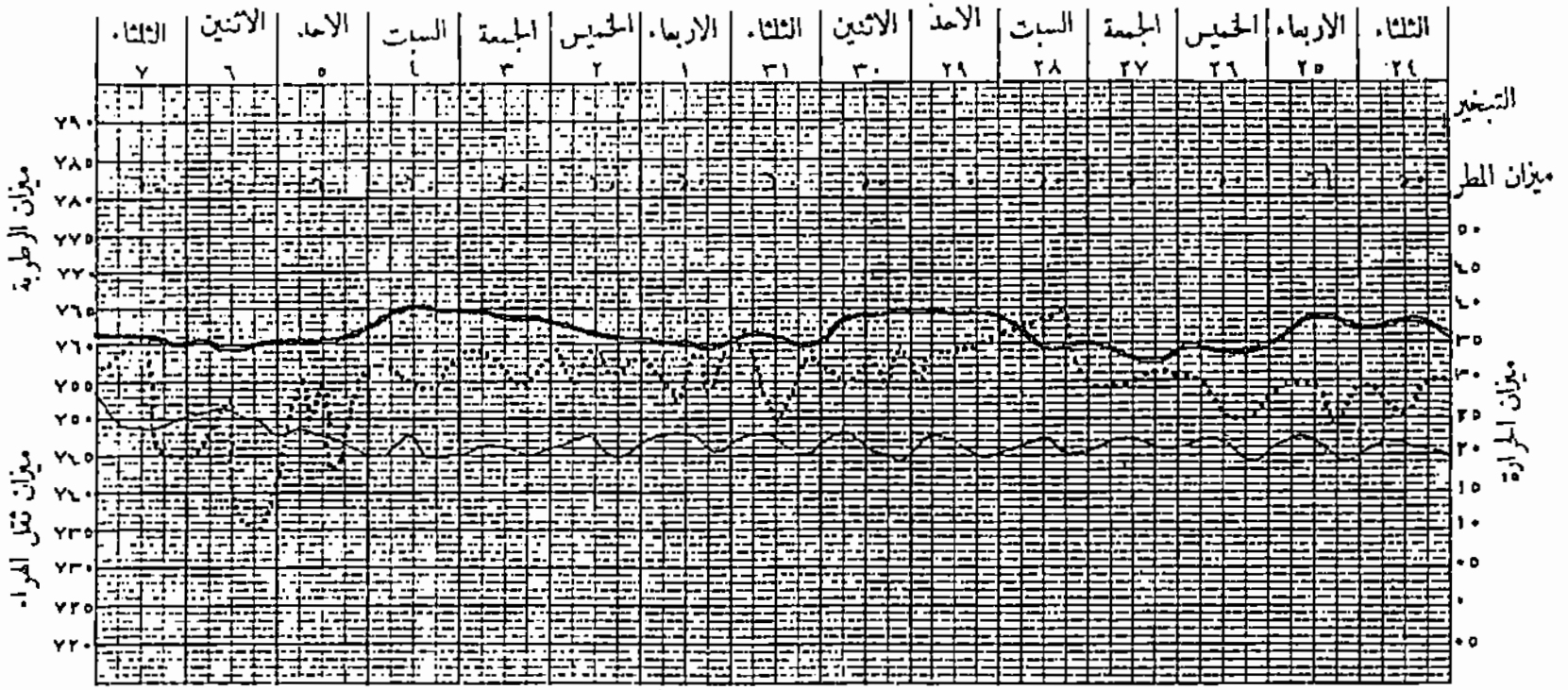

انَّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر)
امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات